الفصل الرابع

كيفية التطوير ومقترحاته في واقعنا المعاصر

التطوير في مناهج الدعوة ووسائلها في الواقع المعاصر

تمهيد:

من الجدير بالذكر أن ننبه إلى أن حديثنا عن تطوير المنهج والوسائل الدعوية في الواقع المعاصر لا يعني أن يكون الحديث مقصورًا على ما يتم اقتراحه من الوسائل الدعوية الحديثة فقط، بل لكي نكون موضوعيين وفي ضوء الحديث عن تجديد الخطاب الديني في الواقع المعاصر لابد أن نبدأ في مسألة التطوير من إعادة النظر في منهاج الدعوة وبرنامجها الشامل من خلال إعادة النظر في الوسائل التقليدية التي لا تزال مستخدمة في واقعنا المعاصر، والتي لا يتصور زوالها في يوم من الأيام فما دامت تلك الوسائل لا تزال مستخدمة، وما دامت يرجى لها الاستمرار في المستقبل كذلك فهي وسائل حديثة ينبغي أن ينظر إليها بعين الاهتمام في كيفية تطويرها وجعلها على المستوى اللائق لمعطيات هذا العصر وتحدياته.

إنه لا يليق أن نطيل الوقوف عند الحديث عما يسمى بالشاتنج أو الدردشة على الإنترنت كوسيلة دعوية ونهمل الحديث عن تطوير الخطابة وكيفية مناسبتها للمدعوين المعاصرين بهمومهم المعاصرة وتشكلهم الثقافي والحضاري الجديد.

فلا شك أن وسيلة مثل الخطابة هي أمر أساسي وحيوي ودائم للدعوة لا ينتهي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك لأنها مرتبطة بأصل من أصول الإسلام لا يتصور الإسلام بدونه ألا وهو الصلاة ومرتبطة على الأخص بأهم فريضة من فرائض الصلاة ألا وهي فريضة الجمعة، فإذا كانت الخطبة بهذا الشأن ويحضرها بصفة لازمة جميع المسلمين المصلين بلا استثناء بما في ذلك غير المواظبين على الصلاة منهم، وممن يكتب لهم الهداية بدخول المسجد وأداء الصلاة، فإذا كان أمر الخطبة كذلك فهي أعظم وسيلة دعوية على الإطلاق، فلا ينبغي إهمال الحديث في تطويرها باعتبارها وسيلة دعوية قديمة، والانشغال عنها بالحديث عن وسيلة ثانوية لا يستفيد منها ٥٪ على الأكثر ممن يستفيدون بهذه الوسيلة الأكثر شيوعًا.

إن التطوير الحقيقي ليس هو مجرد التطوير في الوسائل بقدر ما هو تطوير في منهج

العرض ومحتواه وجعله أكثر توافقًا مع هموم العصر وتحدياته.

كذلك فإنه يجدر بنا التنبيه في هذا التمهيد على أن المقصود من اقتراح وسائل جديدة للدعوة لا ينبغي أن يقتصر مفهومه على إحداث آليات عصرية حديثة؛ إذ إن مسألة التقنيات أو اختراع الآلات أو التقدم التكنولوجي ليست وظيفة الداعي، وإنما وظيفته هي الاستفادة من محدثات الحضارة وإبداعاتها ومنتجاتها التي يمكن أن توظف في الدعوة إلى الله تعالى مع رعاية الشروط والضوابط التي سبق بيانها في الحديث عن ضوابط المناهج والوسائل الدعوية.

ومن ثم فليس المتوقع منا أن نتحدث هنا عن وسيلة أحدث من الإنترنت أو القنوات الفضائية، ونحو ذلك من الوسائل الحديثة والمعاصرة، وإنما المطلوب هو الاجتهاد في كيفية الإفادة من هذه الوسائل في الدعوة إلى الله تعالى بأفضل الطرق الممكنة وعلى أحسن وجه وأمثله.

ولذا فسوف نرسم هنا خطة شاملة لتطوير منهج الدعوة في جميع وسائله المتاحة في هذا العصر، وهذه الوسائل يمكن حصرها في الأنواع التالية:

أولا: التطوير في الوسائل البشرية

(إعداد الدعاة)

قد يفيض البعض في الحديث عن الوسائل الآلية للدعوة أو غيرها من الوسائل ويهمل الحديث عن هذا النوع من الوسائل -أعني الوسائل البشرية- التي تعتبر أهم الوسائل الدعوية على الإطلاق، لأننا نعني بها الحديث عن الداعي نفسه، الذي هو أساس هذه الدعوة والمحرك لها والمؤثر الأساسي في المدعوين.

وفي الحقيقة أنه لا يتصور نجاح لدعوة ما ما لم يكن الداعي مؤهلاً للقيام بهذه الدعوة وحمل أمانتها، وكما أننا إذا أردنا أن نتحدث عن وسائل القوة الحربية، فينبغي ألا يقتصر حديثنا على تطوير الوسائل الآلية أي الأسلحة من سيف وبندقية ومدفع وطائرة.. إلخ، ونهمل الحديث عن المحارب نفسه وهو القوة الأساسية الضاربة والمحركة، فكذلك لا يليق بنا هنا إفاضة الحديث عن الوسائل الآلية للدعوة مثلاً وإهمال

الحديث عن إعداد الدعاة.

ومن ثم فسوف نتحدث هنا عن النقاط التالية:

١-إعداد الدعاة ورفع إمكاناتهم الدعوية.

٢-التوجيه الدعوي للشباب واختضانهم في مراكز الدعوة الراشدة.

٣-التوجيه الدعوي للمرأة المسلمة، وتفعيل دور المسلمة المعاصرة في الدعوة الإسلامية.

٤-الاهتمام بالتنشئة الدعوية للمسلم الصغير.

فبالنسبة للنقطة الأولى وهي:

إعداد الدعاة ورفع إمكاناتهم الدعوية، يتم الحديث فيها عن النقاط التالية:

أ-رفع الإمكانات الدعوية للدعاة العاملين.

ب-توفير جميع فرص الرعاية المادية والعلمية والصحية... إلخ لهؤلاء الدعاة.

وفيما يلي تفصيل الحديث في هذه النقاط، وما ينبغي من التطوير اللازم لها:

أولاً: رفع الإمكانات الدعوية للدعاة العاملين:

١-زيادة الوعي الثقافي لدى الدعاة بظروف واقعهم وأحوال المدعوين فيه.

سبق أن تحدثنا عن الصفات اللازمة للدعاة إلى الله أو التي يجب توفرها في هؤلاء الدعاة، وقلنا إن من بين هذه الصفات اتصافهم بصفة العلم ونحب أن نزيد الأمر بيانًا فيما يتعلق بتطوير الدعاة كجزء من خطة التطوير في الدعوة ووسائلها في هذا المبحث من خلال هذه النقاط:

أ-العلم بالواقع يفيد في تحديد المنهج والوسيلة الدعوية المناسبة.

ينبغي ألا يقتصر مفهومنا لصفة العلم على إحراز العلم الشرعي فقط بل إن العلم أو الفقه الحقيقي لا يحصل للداعي أو الفقيه إلا باجتماع أمرين لابد لها منهما:

الأول: العلم بالواقع.

الثاني: العلم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة.

فالفقيه لا يستطيع أن يفتي في واقعة ولا أن يصدر حكمًا شرعيًا فيها إلا بعد معرفة

واقع المسألة وظروفها وملابساتها بما يجلي غوامضها ويكشف حقيقتها.

وكـــذلك الداعي إلى الله تعالى لا يستطيع أن يتخذ المنهج والوسيلة الدعوية المناسبة، ولا أن يتخذ موقفًا دعويًا أو طريقة دعوية في بيئة ما إلا بعد الإحاطة التامة بظروف هذه البيئة ومعرفة أحوالها والإحاطة بها من جميع جوانبها.

ب-العلم بالواقع يؤدي إلى ضبط انفعالات الداعي تجاه مجتمعه.

ومن ثم فالداعي الذي يعتزل الناس ويترفع عن مخالطتهم، أو يعتبر الاطلاع أو السماع لما في الواقع من صور الفساد والانحلال مثلاً نوعًا من اللغو أو الرفث ينبغي أن يتنزه عنه، أو يقاطع دنياهم ومعاملاتهم لأدنى شبهة تعرض له دون الإحاطة بملابسات الأمور، لاشك أن مـــثل هذا الداعي سوف يكون قاصر النظرة والإدراك بالنسبة لظروف مجتمعه وأحوال المدعـــوين فـــيه، وينتج عن ذلك أن هذا الداعي إما أن يصور مجتمعه بصورة أقبح مما هي علـــيه، ومـــن ثم يشتد نكيره عليه، ويتجهم له بلا طائل، أو يعتقد عموم الفساد وأنه لا سبيل للإصلاح فيثبطه ذلك عن دعوته ويقعده عنها.

أو يكـــون العكس بأن يتصور مجتمعه دون ما هو عليه من التسيب والانحلال فيكون مفـــرطًا في الـــتفاؤل، مهونًا للأمر، معتقدًا أن الأمور بخير، وأن السيل ما بلغ الزبى، وأن الأمـــر لا يحـــتاج إلى الاشتداد في النكير والإفراط فيه؛ بل يزداد الأمر إلى تخطئة غيره من الـــدعاة فيعدهم مغالين مفرطين، أو يرى أن مثل هذه المنكرات مما يسعه وأمثاله السكوت عنها وتخفيف اللهجة فيها، أو أنها مما يسعه اختلاف الناس ونحو ذلك.

والمقـــصد أن نبين أن جهل الداعي بواقعه قد يؤدي به إما إلى الإفراط أو التفريط في انفعالاتـــه تجاه هذا الواقع، فإما أن يشتد في النكير في أمور هي أهون مما يتصور، وإما أن يتهاون في إنكار الأمور إلى حد تضييع حدود الله تعالى وإشاعة التسيب والاستهانة بها.

جـــ-العلم بالواقع يؤدي إلى حسن تقبل المدعوين للداعي وعدم النفرة من خطابه

وذلـــك أن الداعي الذي يعتزل الناس ويجهل شئونهم وما استجد فيها من محدثات سيظل حديثه بدائيًا بعيدًا عن حياة الناس وواقعهم مما يؤدي إلىالنفرة منه وعدم قبوله.

فعلـــى سبيل المثال الفرضي الجدلي لو أن داعيًا يذكر الناس بنعم الله تعالى فقال لهم:

انظروا كيف جعل الله تعالى لنا هذه الأكواخ التي تستر عوراتنا وتحمي أجسادنا من الحر والبرد، لكان أضحوكة للسامعين، أو وعظهم في باب الربا فنهاهم عما وجده في كتب الفقه من صوره القديمة في ربا الفضل مثلاً على فرض أنه غير شائع في مجتمعه وواقعه فيقول لهم مثلاً: أيها الناس اتقوا الربا: لا تبيعوا قمحًا بقمح ولا تمرًا بتمر إلا يدًا بيد، وتكون هذه الصور من المعاملات غير شائعة لديهم أو غير معمول بها في واقعهم... وهكذا.

أو يذكر في حديثه ما مثل به الفقهاء في كتبهم من واقعهم القديم مما لا يوجد في كثير من البيئات أو لا يشيع فيها، فكل ذلك يجعله أضحوكة للناس أو وسيلة للتندر.

د-العلم بالواقع يؤدي إلى معرفة أقرب المداخل إلى قلوب المدعوين وعقولهم

وذلك أن الداعي الذي يكون على وعي بما جدّ في مجتمعه من المذاهب الفكرية، والاعتقادات والاتجاهات ونحو ذلك يكون أكثر قدرة على فهم نفسية المدعوين، ومعرفة أقرب المداخل إلى نفوسهم بحيث يكون لحديثه قبولاً ووقعًا في نفوسهم.

وسبق أن أكدنا على ضرورة التماثل أو التقارب الثقافي بين الداعي والمدعوين حتى يتم التفاهم والتواصل الفكري بينهم، وقلنا إن ذلك كله يتضمن النص على التماثل اللغوي أو اللساني في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾[1] حيث بينا كيف أن اللسان واللغة يتسع ليشمل الفكر وثقافة العصر؛ وذلك لأن اللغة هي وعاء الفكر كما يقولون.

٢-زيادة الخبرات في الإفادة من معطيات العصر في الدعوة إلى الله تعالى:

مع هذه الثورة العلمية والصناعية الهائلة في مختلف التقنيات وخاصة وسائل الاتصالات لابد من تثقيف الدعاة وحثهم على الإفادة من هذه الوسائل.

ولابد أن يزيد الأمر على مجرد الحث، وذلك عن طريق تنظيم الدورات المتخصصة في

---

(١) إبراهيم: ٤، وانظر توجيه الشيخ يوسف القرضاوي للآية فإنه مفيد هنا، انظر كتاب تيسير الفقه للمسلم المعاصر- (١٦)، مكتبة وهبة.

الإفـــادة من تقنيات العصر كالحاسوب والشبكة العالمية (الإنترنت)، وتعلم اللغة الإنجليزية وغيرهـــا من اللغات التي فرضت نفسها على واقع الناس اليوم ومجالاتهم الحياتية المختلفة، فضلاً عن تعلم لغات الأقوام الذين تتوجه إليهم الدعوة.

وينبغي أن توفر النفقات والمكافآت للمتفوقين في هذه الدورات.

٣-الإحاطة بقضايا العصر وتحدياته وهموم الأمة الإسلامية في واقعها المعاصر، لابد من حـــث الدعاة وتوجيههم نحو معرفة قضايا عصرهم والإحاطة بها. ويمكن تنظيم الدورات التثقيفية أو المحاضرات والندوات والمؤتمرات التي يشارك فيها كبار العلماء والدعاة، ويدعى إليها عموم الدعاة للإفادة والإحاطة بهذه القضايا.

وقد سبق بيان عدد كبير من هذه القضايا في مبحث سابق ممهد لهذا المبحث تحدثنا فيه عن المؤثرات في واقع الأمة اليوم وعن أهم قضايا العصر وتحدياته.

ب-توفير جميع فرص الرعاية العلمية والمادية والصحية... إلخ لهؤلاء الدعاة.

إذا كانـــت الحكـــومات والـــشعوب جادة في العمل على تطوير الدعاة بما يتفق مع معطـــيات العـــصر وتحدياتـــه؛ فإن عليهم أن يقدموا لهؤلاء الدعاة الدعم المادي والعلمي والـــصحي... إلخ بما يهيئ هؤلاء الدعاة للقيام بمهمتهم على أكمل وجه ويتيح لهم فرصة التفـــرغ للقـــيام بمهام الدعوة والإعداد لها والأخذ بأسباب التطوير والتقدم، فلا شك أن للتطوير تبعاته واحتياجاته وتكاليفه مما لا يقدر عليه كثير من الدعاة.

فعلـــى ســـبيل المـــثال لابد من توفير المكتبة الإسلامية القيمة، ولابد من توفير جهاز حاســـوب لكل داع متميز، فضلاً عن تقديم الدعم المادي الكافي حتى لا يفتن الداعي أمام مغريات الحياة أو ينحرف عن سبيله تحت وطأة شدة العيش وشظفه، ولا ننسى أن الداعي كلمـــا أعطى للدعوة كلما طلب منه إعطاء المزيد، فكثير من الدعاة لا يجدون متسعًا من الوقت لقضائه مع أهليهم وأولادهم، فأوقاتهم موزعة ما بين خطبة ومحاضرة وندوة ودرس علم وإجابة مستفت، وإصلاح بين متخاصمين، ونظر في مهمات الأمور، فإذا كان راتب الداعي لا يكفي لتوفير لقمة العيش الضرورية له ولأولاده كما في كثير من البلدان العربية فكـــيف يتصور منه أن يتفرغ لمهام الدعوة المذكورة، فضلاً عن الحديث عن تطوير نفسه

ودعوته على الوجه اللائق؟!

إن المقابـــل الشهري الذي يحصل عليه خطيب الجمعة في بلد كبير مثل جمهورية مصر العـــربية هـــو ما قيمته ٤٠ ج أربعون جنيهًا يخصم منها الضرائب ونحو ذلك، أي يكون المقابـــل المادي عن الجمعة الواحدة أقل من عشرة جنيهات، فهل مثل هذا المبلغ الزهيد، وتلك الدراهم المعدودة تفي بإمكانات الداعي العديدة؟

وعلـــى سبيل المثال أيضًا فإن راتب إمام المسجد الحاصل على شهادة عليا من الأزهر الـــشريف لا تـــتجاوز مـــائتي جنيه شاملة مكافآت الخطب والدروس والإمامة والحوافز والـــبدلات وغـــير ذلـــك، أي أن أصل راتب هذا الإمام الداعي مع شدة العيش وشظفه وقسوته قد لا يزيد عن خمسة جنيهات مصرية في اليوم فما عسى أن يغني ذلك عنه؟ وهل يكفيه ذلك لإحراز الملح والخبز الجاف له ولأولاده؟

هـــذه أمور ينبغي أن تدرس جيدا، وأن يعتنى بها جيدا إذا كنا بصدد إصلاح حقيقي للدعوة وللدعاة؛ إذ إن كثيرًا من أئمة المساجد لا يحضرون الصلوات في مساجدهم فضلاً عـــن أن يقوموا بالدعوة والإرشاد والتوجيه منشغلين بتحصيل لقمة العيش في مكان آخر، ويعذرهم المصلون لذلك في غيابهم لما يعلمون من حالهم.

أو يبقى الإمام في المسجد ويتسول على المصلين أو يمد يده لصندوق المسجد أو يعيش على الصدقات والزكوات في حال يزري به ويسقطه من أعين الناس لشعورهم بحاجته إلى إحـــسانهم ويجعلـــه في موقف ضعيف من تبليغ الحق للناس لشعوره بحاجته إلى إحسانهم كذلك.

٢-التوجيه الدعوي للشباب واحتضانهم في مراكز الدعوة الإسلامية وتفصيل ذلك في النقاط التالية:

أ-العناية بنشر الوعي الدعوي لدى الشباب.

ب-إنشاء المراكز الدعوية المتخصصة على المستويين النظري والتطبيقي.

ج-التوسع في إنشاء المساجد، وتفعيل رسالة المسجد ووظيفته الدعوية.

د-العمل على احتضان الشباب وتدريبهم على الدعوة في تلك المراكز والمساجد.

وهاكم تفصيل الكلام في هذه النقاط:

أولاً: العناية بنشر الوعي الدعوي لدى الشباب:

هذه النقطة غاية في الأهمية، خاصة أن الشباب في كثير من البلدان العربية والإسلامية يعتقدون أن بلادهم تحارب الدعوة الإسلامية وتضطهدها، ومن ثم ينقلبون حربا عليها، فضلاً عن أن لدى هؤلاء الشباب طاقات هائلة، ورغبات شديدة في نشر الدعوة الإسلامية والعمل على إصلاح مجتمعاتهم، فإذا لم يجدوا من أهل الدعوة الراشدة من يأخذ بأيديهم ويفسح لهم المجال للدعوة إلى الله تعالى، بعد العمل على توجيههم وإعدادهم الإعداد الكافي، فإنهم سيتجهون لا محالة للاتجاهات المنحرفة أو المتطرفة التي تطفح بها الساحة في كثير من تلك البلدان.

ومن ثم يتحتم على المسئولين عن الدعوة أن يفتحوا قلوبهم وأيديهم لهؤلاء الشباب، وأن يكونوا صادقين في أمر الاهتمام بالدعوة الإسلامية بحيث يكونون محلّ ثقة لدى هؤلاء الشباب فيستجيبون لهم ويستمعون لداعي العقل والحكمة من مشايخ الدعوة وعلمائها الواعين الراشدين.

وتظهر حسن النوايا الدالة على صدق المسئولين في هذا الأمر بأن يعملوا على توجيه الشباب نحو الاهتمام بالدعوة الإسلامية على علم وبصيرة وفقه بالواقع وتقدير لأمانة ومسئولية هذا الأمر العظيم وتبعاته، فذلك أجدى كثيرًا من سياسة تكميم الأفواه، وتكبيل الأيدي المتبعة في كثير من البلدان، والتي أدت إلى عدم الثقة بالدول والعلماء والدّعاة المعينين من قبل الحكومات الذين صار نعتهم لدى هؤلاء الشباب بعلماء السلطة أو دعاة السلطة، فلا يستجيبون لهم، ولا يعطونهم ثقتهم، وهم لهم قدر كبير من العُذر في ذلك لما يرون من تجهم هؤلاء الدعاة والعلماء في وجوههم، فضلا عما يلاقون من كبت حرياتهم، والأخذ على أيديهم وأفواههم واضطهادهم أشدّ الاضطهاد من قبل كثير من الحكومات لا لشيء سوى أنهم رغبوا في إعلاء كلمة الله تعالى ونشر دينه والدعوة إليه، وإن سلكوا في ذلك سبلاً ليست بالقويمة المعتدلة؛ فإن على هذه الدول والحكومات يقع العبء الأكبر بسبب عدم احتضانهم لهؤلاء الشباب وتمكينهم من

أداء هذه الرسالة الشريفة على الوجه الأكمل.

ثانيا: إنشاء المراكز الدعوية المتخصصة على المستويين النظري والتطبيقي:

مـــن علامات صدق النية في الاهتمام بشأن الدعوة مما يجعل الشباب أكثر إقبالاً على المسئولين عن الدعوة الراشدة التوسع في إنشاء المراكز الدعوية المتخصصة التي تعمل على إعداد الدّعاة وفق أحدث المناهج الدعوية المتطورة، هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية التطبيقـــية فينبغي أن تقوم تلك المراكز كذلك بتدريب هؤلاء الدعاة وإرسالهم للدعوة في بيئـــتها ومكانهـــا بحيث يقوم هؤلاء الشباب بالتدرب على إلقاء الخطب والدروس ودعوة الأفراد والجماعات تحت عين المسئولين وتوجيههم التوجيه الصحيح الذي يقوم بتصحيح الأخطـــاء وضـــمان عدم تكررها والوصول بالداعي إلى اكتساب أساليب الدعوة القويمة الراشدة بالحكمة والموعظة الحسنة.

ثالـــثًا: التوســـع في إنـــشاء المـــساجد كذلك، وتفعيل رسالة المسجد ووظيفتـــه الدعويـــة:

ينبغـــي التنويه ابتداء بأن مجرد وجود المسجد في مكان ما، فإنه يمثل نوعًا عظيمًا من الدعوة التلقائية، فبنيان المسجد نفسه دعوة إلى الصلاة وإغراء بها، والنداء إلى الصلاة عن طريق الأذان خمس مرات كل يوم هو أعظم دعوة للإقبال على الله تعالى.

وقد تكثر المساجد في مكان ما، ويعجب الإنسان حينما يمر عليها وقت صلاة الجمعة مـــثلا فيجدها جميعًا قد امتلأت عن آخرها ولو بُني بجوارها مساجد أخر لوجد أنها تمتلئ كذلك.

وهـــذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن المسجد إنما يغري المسلمين بعمارته، أو أن الله قد تكفل بأن تعمر مساجده وتملأ بزوارها وعبادها.

وأيـــا مـــا كان الأمر فإن المسجد وسيلة عظيمة للدعوة إلى عبادة الله تعالى والالتزام بمنهجه.

وإذا كـــنا بصدد الحديث عن التطور، فإننا نقرر أن التطور الحقيقي هو الذي يبلغ بالدعوة أهدافها وغايتها ويقرب المسلمين من العصور الأولى ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

والملاحـــظ بالنسبة للمسجد الآن أنه قد انحسرت رسالته في كثير من ربوع المسلمين وبلادهم حيث اقتصرت وظيفته على مجرد إقامة الصلاة.

ومعلـــوم أن المـــسجد كان له رسالة عظيمة في الصدر الأول بينها الكتـــاب الكريم والسنـــة النبوية الشريفة قولا وعملا وسار على هذا النهج أصحاب النبي ﷺ والتابعـــون من بعدهم.

فـــالملاحظ أن المـــسجد في العصر النبوي كان مكانًا للعبادة ومدرسة للتعلم، ودارا للتربية وإعداد الدعاة، وصندوقًا للكفالة الاجتماعية، ودارا للمناسبات الاجتماعية وناديا للرياضة، ومجلسا للحكم والشورى، ومركزًا للقيادة الحربية وتجهيز الجيوش.

إذًا فهو مصدر إشعاع للنور والعلم والدعوة والحضارة فهو يمثل الدعوة الإسلامية في أكمل صورها وأتمها.

ولـــذا نقول إن الدعوة الإسلامية اليوم لا يمكن أن تبلغ غايتها المنشودة وتحقق الآمال المرجوة منها ما لم تعد للمسجد رسالته الأولى التي تحققت كاملة في عصر النبوة والعصور التالية.

رابعًا: العمل على احتضان الشباب والاهتمام بهم وتشجيعهم على الالتحاق بتلك المراكز:

علـــى المهـــتمين بالدعوة والمسئولين عنها أفرادًا وحكومات أن يعملوا على احتضان الشباب، واعتبار تلك الرغبة الشديدة لدى الشباب في الدعوة إلى الله تعالى ظاهرة صحية تبـــشر بـــالخير تحـــتاج إلى الرعاية والتدريب وإعطائها الفرصة الكافية كي تأتي بثمارها وأكلها.

ويـــتحقق ذلك بتوجيه هؤلاء الشباب نحو تلك المراكز الدعوية والاحتفاء بهم، وتقديم الـــرعاية العلمية والمادية لهم التي تكفل لهم الصبر على تعلم علوم الدعوة وفنونها والتمرس بها وتطبيقها على أمثل وجه وأكمله.

٣-التوجيه الدعوي للمرأة المسلمة، وتفعيل دور المسلمة المعاصرة في الدعوة الإسلامية:

ويشمل النقاط التالية:

أ-العناية بالتوجيه الديني للمسلمة المعاصرة:

بينا فيما قبل أهمية المرأة في المجتمع الإنساني عمومًا والإسلامي منه صفة خاصة، والحقيقة أن المرأة ليست ذات أهمية ثانوية، ولا تلعب دورًا واحدًا وإنما أدوارًا عديدة ومن الأهمية بمكان، فهي أم وزوجة وبنت وأخت وفي كل حالة من حالات المرأة هذه وفي طل طر من أطوارها تلعب أدورًا عدة، وتؤديها بكفاءة لا يستطيعها الرجال؛ لأنهم لم يخلقوا لذلك فلا يستطيعونه وخلقت له المرأة فهو سهلٌ ميسر لها.

أما في المجتمع الإسلامي فإن المرأة أبرز دورًا وأعظم؛ لأنه المجتمع الذي يأخذ كل واحدٍ فيه حقه ويؤدي دوره، فلا تأخذ امرأة دور الرجال بدعوى المساواة التي هي في حقيقتها دعوة إلى الندية، ولا يقعد الرجال قعود النساء فتضيع الأمم وتنهار النظم الربانية. من أجل ذلك كله كان لابد من معرفة المرأة ومعرفة الرجل أيضًا -حقوق وواجبات الرجل والمرأة، أدوار كل واحدٍ منهما حتى يضطلع كل منهما بما كلف به وما خلق من أجله.

ولقد اشتمل الإسلام على كل واجبات وحقوق المرأة فاصلا في ذلك بين ما تتساوى فيه المرأة مع الرجل كالثواب والعقاب ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا**﴾[1]، وما ينفرد فيه كل واحدٍ منهما بحكم فعن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: "يا رسول الله هل على النساء جهاد؟ قال: نعم عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة". فبين النبي ﷺ أن الجهاد أنواع منها القتال ومنها الحج والعمرة، وأن النساء يشتركن في الحج والعمرة مع الرجال ولكنهن لا يتحملن القتال؛ لأنهن لا يطقنه.

---

(١) النساء:١٢٤.

وإذن فعلى المرأة ألا تتطلع إلى أدوار الرجال لأن في ذلك تضييعًا لدورها الذي تنشغل عنه ولا يستطيعه الرجال، وتضييعًا لدور الرجل الذي لا تستطيع هي أداءه بنفس كفاءة الرجل، وهي مع ذلك تحجب الرجل عن دوره فيفسد المجتمع كله بسبب تبادل الأدوار هذا.

إذن فعلى المرأة -وهذا هو موضوعنا- أن تتعلم ما هو دورها بالضبط وألا تتخلى عنه، وألا تقلد الساقطات والمسترجلات في حضارة الغرب من اللائي لا همّ لإحداهن إلا التزين والتغنج لفتنة الرجال وإفساد المجتمع، فإذا ما كانت طموحًا وأصبت أن تفعل شيئًا اختارت أصعب الأدوار لتنافس فيها أصحاب الإرادة والعضلات كي تثبت أنها مثلهم، ولا يرضى الله تعالى ولا أحد من الناس أن تكون المرأة كالرجل في كل شيء، وهذه المرأة المتبرجة والمسترجلة تضيع واجبها فلا تصلح زوجة ولا أما ولا أي شيء صالح[1].

ثم إنه ليس من منهل تنهل منه المرأة معرفتها بنفسها وبغيرها وبدورها أعظم ولا أحظى من الإسلام ذلك الدين الذي رضيه لها وللناس خالقها وخالقهم تعالى.

"لقد اتخذ الإسلام مبدأ توزيع العمل إلى حد ما لأجل تحديد إطاري عمل الجنسين في الحياة الاجتماعية؛ فدائرة نشاط الرجل منحيث المبدأ تقع خارج البيت، بينما دائرة نشاط المرأة تقع داخل البيت أساسًا، ولم يتم هذا التوزيع بدافع من التمييز بين الجنسين، بل هو مراعاة لمميزاتها الجنسية، ولإيجاد المناخ اللازم لأجل أن يستخدم كل منهما مواهبهما الطبيعية على الوجه الأكمل، وبدون إحداث أي خلل في نظام الأسرة أو المجتمع، وبعبارة أخرى: لقد أخذ بهذا التباين في الاعتبار على أساس "ترتيبات إدارية" وليس لأجل تحديد أولوية جنس على الآخر..."[2].

---

(١) راجع محمد إسماعيل المقدم: عودة الحجاب- دار العقيدة- الإسكندرية- الطبعة الرابعة-(٢/١٤-٢٢)، وحفصة أحمد حسن: أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة- مؤسسة الرسالة- الطبعة الأولى- (ص٦١٢)، ما بعدها، (ص٦٤٠) وما بعدها.

(٢) وحيد الدين خان: المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية- ترجمة السيد رئيس أحمد الندوي- دار الصحوة ودار الوفاء- ط سنة ١٩٩٤م- (ص١٦٢).

ب-تفعيل الدور الدعوي للمسلمة المعاصرة:

إذا وعـــت المسلمة الحقائق السابقة فإنها حينما تدعو إلى الإسلام سوف تدعو لما يفيد عبر ما يفيد، وسوف تلتزم بالنافع من الوسائل دون الضار منها؛ لأنها قد التزمت ذلك في بيتها ومع ذويها:

أولا: بث الوعي الدعوي لدى نساء المسلمين:

وينبغي أن تعرف المرأة أنها مسئولة عن نشر الدعوة إلى الله مثل الرجل، فنشر الإسلام مـــسئولية كـــل المسلمين رجالاً ونساءً مثل العمل به تمامًا، ولكن تدعو المرأة في حدود قـــدرتها وطاقتها وفي نطاق تواجدها، وإذن فعلى الدعاة أن يستهدفوا المرأة بالدعوة كما يـــستهدفون الرجال، ولأن ذلك سبيل إلى دعوة الرجال مثلما هو سبيل إلى دعوة النساء؛ لأن النـــساء هـــن أول مـــن يبث في أبنائهن الخير أو الشر كل بحسب ما عنده من الخير والشر، وتتنوع أساليب ووسائل أساليب الدعوة للمرأة المعاصرة ومنها:

١-الكتب العامة.

٢-الكتب الدراسية.

٣-الأسرة.

٤-السينما والمسرح.

٥-الصحافة.

٦-الأقمار الصناعية... إلى غير ذلك من الوسائل[1].

ثانيا: تبصير المرأة بوظيفتها في الإفادة من معطيات العصر ومواجهة تحدياته:

الناظـــر في العـــصر الحاضـــر يجد أن المرأة المسلمة مستهدفة من أجل إفسادها ليفسد المجـــتمع المـــسلم، ولذا فإن عليها أن تبصر أمرين الأول: ألا تنساق وراء ما يراد لها من التعري والسفور والخروج والتهتك.

والـــثاني: أن تدفـــع ذلـــك عـــن أبنائها وذويها، ونضرب لذلك مثالا واحدًا بأجهزة

---

(١) راجع في تفصيل ذلك حفصة أحمد حسن: السابق- (ص٣٢٠-٣٣٢).

الحاسوب وشبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) التي تبث ليل نهار أخلاقًا وكلامًا ماجنين مفسدين مستغلة في ذلك الساقطات والساقطين والداعرات والداعرين الذين ما أكثرهم في المجتمع الآن سواء المسلم أو غير المسلم، فعلى المرأة أن تفطن لما يراد بها ومنها بشأن هذا وعليها أن تراقب ذويها وخاصة أبناءها فلا تدعهم نهبة لهذا السقوط المريع[1].

ثالثًا: انتشار المراكز الدعوية النسوية المتخصصة في الدعوة النسائية:

مساهمة في نشر الدعوة بين النساء، يجب الإكثار من نشر المراكز الدعوية النسائية؛ حيث يتم العمل والتنسيق بين النساء من أجل النهوض بالعبء الدعوي بين النساء، فما زال هذا المجال بحاجة ماسة لإيجاد النساء الداعيات اللائي يربين النساء، فالمرأة أقدر على تعليم المرأة وتوجيهها، ولنا في السيدة عائشة وسائر نساء النبي ﷺ الأسوة الحسنة.

ويجب أن يتم التواصل بين هذه المراكز الدعوية بعضها مع بعض، حتى لا تكون الجهود المبذولة ضائعة، فالتنسيق بين المراكز الدعوية يعمل على إبراز العمل الدعوي على أكمل وجه والاستفادة منه إلى أقصى حد.

٤-الاهتمام بالتنشئة الدعوية للمسلم المعاصر

وذلك بالآتي:

أولاً: بث الروح الدعوية لدى الأطفال من الصغر:

ثانيا: إدخال مادة الدعوة الإسلامية ضمن الأنشطة الدراسية في مراحل التعليم المختلفة.

أما بالنسبة للنقطة الأولى فينبغي أن يكون للأسرة دور فيها بتنشئة الأطفال تنشئة دينية قويمة ثم يعلمونهم ويعودونهم نشر الخير وتعليمه، فمثلا إذا علمه الصلاة، أمره وأوصاه أن يدعو إليها زملاءه وأصدقاءه ويحثهم عليها، وأنه إذا رأى شيئًا مما يعرف حرمته يعرض عنه ويعظ فاعله إن كان صغيرًا مثله، كما لو سمع زميله يكذب أو يسب أو يشتم ونحو ذلك.

---

(١) راجع الشيخ المقدم- عودة الحجاب- (٣/١٩-٢٢).

وبهـــذا يتربى الطفل على محبة الدعوة الإسلامية ويتم هذا الأمر ويحسه بأن يلقن الطفل الحكمة في الدعوة على قدر فهمه، فيوصي بأنه إذا دعا أحدًا من أصدقائه إلى شيء من الخير أن يتلطف معهم، وأن يدعوهم برفق وأدب، وكذلك إذا نهى عن شيء من الشر ينهى عنه برفق ولطف بغير حمق ولا تهور، وبهذا يتعود الطفل من صغره ضبط مشاعره والتحكم فيها في الدعوة إلى الله فلا يترتب على دعوته شيء من المفاسد والأضرار.

أما بالنسبة للنقطة الثانية فترجع إلى ضرورة اهتمام الدول والحكومات بإدخال الوعي الدعـــوي لـــدى التلامـــيذ منذ الصغر، وذلك بإضافة مادة للدعوة الإسلامية ضمن مواد الأنـــشطة الدراسية التي لا تضاف لمجموع الطالب يكون الغرض منها تعويده الدعوة إلى الفضيلة والخير والنهي عن الرذيلة والشر بالحكمة والموعظة الحسنة ويتم فيها تعليمه آداب الدعـــوة وصـــفات الداعي إلى الله تعالى وضرورة الحكمة فيها، وما ينبغي أن يتحلى به الداعي من الأخلاق والآداب بحيث يثمر ذلك دعوة راشدة.

ولعمـــر الله تعالى إن هذا لهو السبيل لإغلاق الباب في وجه الدعوات المنحرفة والغالية والتي تؤدي إلى ويلات شديدة تعاني منها البلاد والعباد، وهو السبيل كذلك إلى احتضان الـــشباب المسلم وكسب ثقتهم، وحسن توجيههم، بحيث يكون ذلك بمثابة صمام الأمان الذي يحول دون انحراف الشباب نحو تلك الدعوات الغالية.

ثانيا: الوسائل المادية:

ممـــا ينبغي العناية به ونحن بصدد التطوير في منهج الدعوة ووسائلها أن نعني بالجانب المادي بالنسبة لأمر الدعوة في ذلك في جانبين:

١-القوة الاقتصادية ٢-القوة العسكرية

ويدخل تحت القوة الاقتصادية النقاط التالية:

أ-موارد الدعوة ويشمل:

١-دعم الأجهزة الحكومية.

٢-فتح باب التبرع والمساهمة.

٣-قبول الزكاة.

٤-المشروعات الإسلامية والخدمات الاجتماعية.

ب-مصارف الدعوة:

١-تأليف القلوب ويشمل:

أ-دعوات الحج والعمرة ب-المساعدات والخدمات

ج-مصارف الزكاة د-الهدايا الدعوية المجانية

٢-المسابقات الدينية.

٣-قوافل الدعوة.

٤-المؤتمرات والندوات.

٥-الأغراض العلمية والتعليمية:

أ-إنشاء المكتبات الدينية

ب-طباعة الكتب والرسائل الدعوية.

د-طباعة الأشرطة الدينية

٦-الزيارات والرحلات.

٧-بناء المساجد وتجهيزها.

٨-إنشاء المراكز الدعوية والإنفاق على برنامجها الدعوي.

٩-الخدمات الاجتماعية كالإعانة في تزويج الشباب.

١٠-المشروعات الإسلامية المختلفة حيث تتسع مصارف الدعوة للإنفاق على كافة الوسائل الدعوية والبرنامج الدعوي في كافة صوره وأشكاله والعمل على تحسين أدائه وتطويره بما يحقق الغاية منه.

ولنبدأ أولاً بتفصيل الحديث عن:

موارد الدعوة:

١-دعم الأجهزة الحكومية:

ينبغي على الحكومات الإسلامية أن تقدم الدعم المادي الكافي لتطوير الدعوة، وهذا يشمل العناية بالدعاة وحسن رعايتهم، كما يشمل كذلك بناء المساجد والمراكز الدعوية، ويشمل كذلك دعم جميع أنشطة الدعوة الإسلامية، وذلك بتخصيص المبالغ الكافية لها في

موازنة الدولة، والتي تودع في رصيد وزارات الدعوة والإرشاد والأوقاف وتوزع على سائر الجمعيات الخيرية العاملة في مجال الدعوة الإسلامية بحسب حجم نشاطها ومدى تأثيره في المجتمع.

ولاشك أن هذا الدعم سيؤدي حتما إلى تحسين الجهود الدعوية وتطوير الأداء الدعوي لأنه سيمكن من اقتناء وسائل التقنية الحديثة المفيدة في مجال الدعوة، كما سيمكن من رصد الجهود البشرية وحبسها لهذا العمل الشريف.

٢-فتح باب التبرع والمساهمة:

وهذا أمر حاصل ولكنه يحتاج إلى شيء من الضبط والتنظيم بحيث لا تضيع هذه الأموال هباء أو تقع في أيدي من يستغلها لمصالحه الشخصية أو لأغراض أخرى غير مقاصد الدعوة، فيحتاج الأمر إلى إشراف جهات رقابية مختصة، مع التوسع في هذا الأمر بضوابطه وقيوده التي تضمن الإفادة منه في مصالح الدعوة وتطوير وسائلها ودعاتها ومما يقترح في هذا الصدد تشجيع البنوك والمصارف الشرعية ومؤسسات الزكاة والبر والجمعيات الخيرية والأوقاف والدعوة والإرشاد ومجمعات البحوث الإسلامية وغيرها على فتح باب التبرع من المحسنين وكبار الشخصيات والأمراء وفاعلي الخير من عموم الأفراد للمشاركة في تقديم المساعدات المالية أو العينية المختلفة لطباعة الرسائل الدعوية النافعة والأشرطة وتوزيعها بالمجان على عموم المسلمين عن طريق المساجد والأندية والمؤسسات والجمعيات الخيرية أو المساهمة في المشروعات الخيرية لكفالة اليتيم وتحفيظ القرآن وغيرها من المشروعات التي سبق الإشارة إليها.

٣-قبول الزكاة:

لا مانع من تخصيص قدر من أموال الزكاة للدعوة إلى الله تعالى بما لا يضر بمصالح الفقراء، وذلك لأن للزكاة مصارف نص الله تعالى عليها في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[1].

---

(١) التوبة: ٦٠

فقــوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يتسع لكل مصارف الدعوة الإسلامية وكل سبلها ووســائل تطويرها وإصلاحها، فلاشك أن ذلك كله يندرج أول شيء تحت قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

٤-المــشروعات الإسلامية والخدمات الاجتماعية لا مانع أن تقوم الجمعيات الخيرية الدعــوية بإدارة عدد من المشروعات الإسلامية والخدمات الاجتماعية التي من شأنها ربط الــناس بمراكز الدعوة خاصة إذا ما اقترنت هذه المشروعات بالمساجد أو جاورتها وذلك مــثل مكاتــب تحفيظ القرآن الكريم والمستشفى الإسلامي، وفصول محو الأمية، وفصول الــتقوية لتلاميذ المدارس الفقراء وتشغيل الفتيات الفقيرات في أعمال تليق بهن ونحو ذلك من الخدمات الاجتماعية المطلوبة التي تسعد أبناء المسلمين وتوطد صلتهم بالمسجد وبتلك المراكز الدعوية.

والحــق أن مــثل هذه المشروعات والخدمات قد أثبتت جدواها وفائدتها في كثير من المــساجد والمراكز الدعوية لما لمسوه فيها من التيسير المادي على الناس، وتخفيف الأعباء عــنهم، وظهور القيم والمبادئ والآداب الإسلامية، وظهور سماحة الإسلام ونحو ذلك من الأمور التي من شأنها أن تحبب الناس في الالتزام بالإسلام والاقتراب من دعاته وحماته.

ب-أما عن مصارف الدعوة:

فهــناك قائمــة من المصارف التقليدية مثل تقديم المساعدات والخدمات من الزكوات والــصدقات للفقــراء والمحتاجين[1] والإنفاق على المشروعات الدعوية المختلفة التي سبق الإشــارة إلــيها مــثل بــناء المساجد والمراكز الدعوية ومثل الإنفاق على قوافل الدعوة والمؤتمــرات والــندوات والمكتــبات الدينية وطباعة الكتب والرسائل الدعوية والأشرطة الدينية...إلخ.

وثمــة اقتــراحات بتطوير بعض هذه المصارف أو الاهتمام بتوجيه الإنفاق عليها فمن

---

(١) الاهــتمام بمــساعدة الفقراء والمساكين سبيل عظيم من سبل الدعوة إلى الله تعالى وللشيخ رضا صــمدي كــلام بديع في هذا الصدد حيث جعله إحدى طرق خدمة الدين فانظره في الطريقة الخامــسة والعــشرين في كتابه (ص٣٠٤-٣١٠) ثلاثون طريقة لخدمة الدين- ط دار المؤيد- الرياض، ودار الفهد بجدة- ط ٢٠٠١م.

ذلك:

١-أن يخصص جزء من هذه المصارف للإنفاق على تقديم دعوات مجانية بالحج أو العمرة لكبار الشخصيات المؤثرة في المجتمع والذين يرجى من صلاحهم النفع والخير الكثير لعموم تأثيرهم وذلك مثل: الفنانين والفنانات، والإعلاميين، والرياضيين وأساتذة الجامعة، والكتاب والأدباء والشعراء وذوي المناصب المهمة والمرموقة في مختلف البلدان، فيمكن على سبيل المثال أن توجه إدارة الدعوة والإرشاد بالمملكة دعوات بالحج أو العمرة إلى كبار الشخصيات من الفنانين والفنانات والإعلاميين والرياضيين وذوي المناصب المهمة وغيرهم ممن تشغلهم غمرة الحياة وتلهيهم عن الغاية التي خلقوا لأجلها أو تجعلهم ينحرفون برسالتهم عن تلك الغاية.

وستكون هذه الدعوات بمثابة نوع من الدعوة غير المباشرة وفتح باب التوبة وإصلاح الحال مع الله، ولعل ذلك يكون سببا في بداية صفحة جديدة، وعهد جديد من الطاعة والاستقامة.

ومما يدل على جدوى هذه الوسيلة أننا إذا راجعنا قصص كثير من التائبين والتائبات فإننا نجد أنها كثيرًا ما تبدأ بمثل هذه الرحلة المباركة إلى الحج أو العمرة.

٢-تخصيص جزء من هذه المصارف كذلك للهدايا الدعوية المجانية ومما يقترح في ذلك:

إرسال الإصدارات الجديدة من أشرطة الكاسيت أو الفيديو أو الـCD الاسطوانات الإلكترونية المضغوطة لأهم الدعاة المؤثرين في الأمة في صورة هدايا مجانية مع كروت تحية أو ما شابه ذلك للشخصيات المهمة الذين سبق الإشارة إليهم ويمكن إرسال ذلك كله مكتوبا ومقروءا عن طريق النت والبريد الإليكتروني.

إرسال الإصدارات الجديدة من الكتب والرسائل الصغيرة المؤثرة لأهم الدعاة المؤثرين في صورة هدايا كذلك للشخصيات المذكورة.

٣-مشروع طباعة الكتب والرسائل الدعوية والأشرطة الدينية، وتخصيص جزء منها كهدايا مجانية.

٤-مشروع مكتبة دينية لكل ناد ومسجد:

فبالنسبة للنوادي نقترح:

-إنشاء مكتبتين دينيتين ولو صغيرتين تكونان ملحقتين بالنادي إحداهما للأشرطة الدينية، والثانية للكتب والرسائل الدعوية.

-التوسع في إنشاء المكتبات الإسلامية والثقافية المفيدة في جميع أنحاء المعمورة.

وبالنسبة للمساجد نقترح:

-مشروع مكتبة الرسائل الإسلامية الصغيرة لكل مسجد، والعمل على إيجاد مكتبة إسلامية لكل مسجد ولا نقصد أن تكون في المسجد مكتبة إسلامية كبيرة تحوي أمهات الكتب الإسلامية، فهذا وإن كان خيرًا لكن ليس هو المقصود هنا، بل المقصود أن يكون في كل مسجد مكتبة حائطية لها غطاء زجاجي متحرك تعرض فيها الرسائل الدعوية الصغيرة التي يسهل على الشباب قراءتها في الموضوعات الدينية المختلفة، بحيث تشتمل هذه المكتبة على باقة من الرسائل الدينية الصغيرة لكوكبة من علماء ومشايخ الدعوة الإسلامية المعروفين لدى الشباب والمحبوبين لديهم بحيث تغطى هذه المكتبة كافة الموضوعات الإسلامية التي يحتاج إليها الشباب في معرفة أمور دينهم.

-مشروع مكتبة الأشرطة الإسلامية: وهي على غرار المكتبة السابقة في الشكل والتصميم وتضم كذلك باقة من مختلف التسجيلات الصوتية للعلماء والدعاة المحبوبين لدى الشباب في مختلف أمور الدين ومسائله لاسيما قضايا ومشكلات الشباب المعاصرة.

٥-الإنفاق على الزيارات والرحلات للمساجد والمراكز الدعوية.

٦-بناء المراكز الدعوية والمساجد وتمويل مشروعاتها الدعوية المتعددة:

-التوسع في بناء دور العبادة ومراكز المعرفة والدعوة والإرشاد وتوفير الدعاة العاملين بها، وذلك لأن وجود المسجد في مكان ما يغري المسلمين على العمل على عمارته وملئه والمشاركة في إحياء الصلوات والعبادة فيه.

-الاهتمام برسالة المسجد في العصر الحديث بحيث تتأسى برسالة المسجد في عصر

النبوة مع الوعي بالدور الحضاري للمسجد في الواقع المعاصر، بحيث يكون المسجد وسيلة لجـــذب الناس وتقريبهم من الدعاة والعلماء والعباد وأهل الخير ويمكننا أن نتصور المسجد المعاصر ورسالته كالتالي:

أ-قـــيامه بتحفـــيظ القـــرآن وتعليمه لجميع الأعمار للجنسين وتوفير الأماكن المعدة والمهيأة لذلك.

ب-قيامه بتعليم الناس شئون دينهم وإعطاؤهم الصورة الصحيحة للإسلام وذلك عن طريق دروس العلم الدورية المنتظمة.

ج-إفتاء الناس فيما يحتاجون إليه من المسائل.

د-قـــيامه بجمـــع الـــزكاة والصدقات وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين إليها بصورة منضبطة.

هـــــ-اشـــتماله على دار لإقامة المناسبات الاجتماعية مثل حفل النكاح مع الالتزام بآداب المكان -- العقيقة- تقديم العزاء- الدعوات والمناسبات السعيدة...إلخ.

و-فصول ومجموعات للتقوية في الدراسة العامة.

ز-يـــستحب كـــذلك أن يكـــون له فناء أو حديقة مجاورة تقام فيها أنشطة رياضية وترفيهية للأولاد والشباب حتى يتم ربطهم بالمسجد.

ب-القوة العسكرية:

وتشمل الحديث عن:

١-أهمية عناية الدولة الإسلامية بالقوة العسكرية وأثر ذلك على الدعوة الإسلامية.

٢-بث الروح الدينية لدى الجنود وتوعيتهم بدورهم في حماية الدعوة الإسلامية.

وقـــد ســـبق الحديث عن هاتين النقطتين في الحديث عن معالم المنهج الدعـــوي في الكـــتـــاب والسنة، والأمر لا يحتاج إلى مزيد بيان لأهمية أثر هذه القوة العسكرية في رفع قـــدر الدعوة بحيث لا يستهان بها من قبل أعدائها، وبحيث يشعر أبناؤها أنهم في ظلها في منعة وحماية.

ثالثًا: الوسائل الآلية الإعلامية:

تمهيد

لاشك أن وسائل الاتصال الحديثة بكافة أشكالها قد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتنا، فمن منا يخلو بيته من التلفاز أو المذياع أو المسجل...؟ ومن منا لا يطلع يوميا على الصحف أو المجلات؟ بل إن كثيراً منا يقتني جهاز "الفيديو" ويشترك في شبكة "الإنترنت".

وهكذا صبغت حياتنا بصبغة جديدة، وشكلت وسائل الاتصال عاداتنا وطبائعنا، بل ساهمت بجزء وافر في تشكيل أخلاقنا وأفكارنا، وأصبح الكثير لا يستطيع أن يعيش بدونها بل يرى ذلك محالا.

والحقيقة أن بعضا من هذه الوسائل قد منح الحياة إشراقة جديدة وشارك في توفير الجهد والزمن لدى أبنائها وذلك كالهاتف والفاكس والبريد الإلكتروني، كما أكسب أبناءها مزيداً من ألوان الثقافة والمعرفة كالمذياع والصحف والمجلات وبرامج التلفاز المفيدة وغير ذلك.

والبعض الآخر قد أذاب هويتنا ودمر أخلاقنا، وقطع علاقاتنا ومن ذلك التلفاز ببرامجه الهابطة والفيديو والسينما.

نحو أسلمة وسائل الاتصال:

من الجدير بالذكر أن نذكر هنا أن المسلمين بما أوتوا من ذكاء وإبداع قادرون على أسلمة هذه الوسائل جميعًا، وتوجيه مسارها لتخدم الإسلام وتصب في معينه الثقافة الإسلامية الأصلية، لاسيما وقد جاء في الأثر: "الحكمة صناعة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها"[1].

---

(١) ورد هذا الأثر على أنه حديث مرفوع إلى النبي ﷺ أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما عن علي مرفوعًا، وسنده ضعيف جدًا، فلا يجوز ذكره إلا على جهة التنبيه على ضعفه، وإنما ذكرناه هنا استئناسا لما نحن بصدده

"وأسـلمة العلوم والمعارف والمخترعات ترمي إلى تحرير المعرفة مما علق بها من شوائب المادية وأهواء التيارات المناقضة للهدى، المنكرة للطيب، والتخلص من التبعية، وتحدث تحولا تاريخيا في مسيرة الأمة وتوجيه العلوم والمعارف توجهًا إيجابيًا في خدمة الإنسانية والمجتمع...

إن العمل الصحيح الذي يجب أن يبذل تجاه هذه الوسائل هو توظيف هذه المخترعات لترسيخ عقيدة المسلمين، وتهذيب أخلاقهم، وإنماء ثقافاتهم وعقولهم، والحد من انتشار ثقافة اللذة والجنس، كما هو واقع بالفعل"[1].

أولا: وسائل المخاطبة:

أ-مكبرات الصوت

بالنسبة لمكبرات الصوت ينبغي العمل على قصر استخدامها على الأذان وخطب الجمعة والعيدين والمحاضرات العامة حتى لا تكون سببا من أسباب نفور الناس عن الدعوة لما قد تسببه أجهزة مكبرات الصوت خارج المسجد من إزعاج للمرضى المحتاجين إلى الراحة والنوم أو من هم بحاجة إلى الهدوء لاستذكار دروسهم ونحو ذلك.

فينبغي في غير هذه الحالات المذكور ألا يستخدم مكبر الصوت خارج المسجد بحيث يقتصر في استخدامه على السماعات الداخلية بحيث لا يتعدى الصوت حاجة المستمعين داخل قاعة المسجد أو المحاضرة.

ب-الإذاعة

المذياع جليس كل إنسان، وأنيس كل وحدة، لا يخلو منه بيت ولا يمل من سماعه أحد، يسمعه الصغير والكبير والرجل والمرأة، ويعمل بالليل والنهار.

"أقدم وسائل الاتصال الإذاعي وأبسطها، وأكثر وسائل نقل الكلمة المنطوقة وأقلها تعقيدا، الوسيلة الإعلامية الأولى التي استطاعت أن تصل إلى جمهورها في أي مكان

---

(١) أنور الجندي: الإسلام والمصطلحات المعاصرة، دار الهداية - القاهرة ط١- ١٩٩٧م- (٢٩٨) بتصرف.

متخطية حواجز الأمية وعقبات الانتقال في المناطق الوعرة والقيود السياسية التي تمنع بعض الوسائل الأخرى من الوصول إلى مجتمعاتها.

لقد احتل المذياع مكانة هامة لدى الجمهور المصري[1] بالرغم من الانتشار الكبير لأجهزة التلفاز؛ حيث يحرص الكثيرون على متابعة بعض المواد الإذاعية؛ كنشرات الأخبار، أو الاستماع إلى بعض البرامج التي اعتادوا سماعها، وأصبحت تشكل جزءا من برنامج حياتهم اليومي، أو حتى لمجرد تحقيق الألفة أثناء العمل أو الاستذكار أو قيادة السيارة.

كما أصبح من وسائل تشكيل الوجدان النفسي للمستمعين بمعنى أن البرامج الصباحية تهيئ الناس لليقظة والعمل والتفاؤل وبذلك تخلق جوا إيقاعيا لاستقبال يوم جديد"[2].

ج-المرئي(التلفاز)

من المعروف أن التلفاز هو أكثر وسائل الاتصال الحديثة انتشاراً بين الناس وأعظمها تأثيرا في حياتهم، فلقد شكل التلفاز ثقافة الجماهير، وأخرج أجيالا عدة تحاكي مشاهده، وغدا الموجه والمعلم والصدوق الذي لا يكذب عند قطاع كبير من الناس، وذلك لما يتمتع به من إمكانات وتقنيات هائلة، فهو يجمع بين الصوت والصورة، ويستخدم أسلوباً رائعاً في عرض برامجه، مما يجذب حواس المشاهد جميعها ويجعله أسيراً له يحركه يمنة ويسرة كما يشاء.

ولقد غدا التلفاز صنمًا جديدا يعكف عليه الناس، ويقدمون له عقولهم وأرواحهم وأبناءهم، ويضحون في سبيله بأوقاتهم وأعمارهم، فكم من عقول شوهت، وكم من أجيال دمرت، وكم من أوقات ضيعت بسبب هذه الثقافات التافهة والأفكار الضالة

---

(١) كذا الحال في جميع البلدان، ومصر نموذج من النماذج التي يقاس عليها.

(٢) وليد فتح الله مصطفى بركات: دور الراديو في معالجة القضايا والمشكلات السلوكية في المجتمع المصري (رسالة ماجستير)، ص(٢٨، ٣٣) بتصرف.

الـــتي يعرضـــها التلفاز كل يوم على مرأى ومسمع ملايين من الناس حتى جذب كل من حـــوله، المـــرأة والـــرجل، الطفل والشاب، الكبير والصغير، فأضحى "إدماناً استسلم له طوائـــف كـــثيرة مـــن الـــناس، ودخل التليفزيون إلى المصنع والمتجر وأكشاك السجائر والمـــرطبات، ورافق المسافرين في مركباتهم، والمتنـــزهين في نـــزهاتهم، حـــتى أصبـــح الرفيـــق الدائم الذي لا يمل، والسمير المستعلي الذي لا ينفك عن اللهو وتُرَّهات القول، وطـــاب لكثير من الخلق أن يتناولوا طعامهم أمام شاشة التليفزيون ليساعدهم على ازدراد الطعـــام والـــتهام أكـــبر كمـــية مـــنه حـــتى أطلقوا في أمريكا على طريقة الأكل هذه (غذاء التليفزيون)"[1].

التليفزيون وموقعه في الإسلام

لا شك أن التليفزيون كآلة وجهاز لا يوصف بحل ولا بحرمة؛ وذلك لأنه قد يستخدم في الخـــير أو في الـــشر تماماً كوسائل الإعلام المختلفة كالراديو والصحيفة والمجلة وغيرها، ويوضح ذلك الدكتور يوسف القرضاوي فيقول:

"إن التليفـــزيون كالـــراديو وكالـــصحيفة وكالمجلة كل هذه الأشياء أدوات ووسائل لغايـــات ومقاصد لا تستطيع أن تقول: هي خير، ولا تستطيع أن تقول: هي شر كما لا تـــستطيع أن تقـــول: إنها حلال أو إنها حرام، ولكنها بحسب ما توجه إليه، وبحسب ما تتـــضمنه من برامج ومن أشياء؛ كالسيف، فهو في يد المجاهد أداة من أدوات الجهاد، وهو في يد قاطع الطريق أداة من أدوات الإجرام.

فالـــشيء بحـــسب اســـتعماله، والوســـائل دائما بحسب مقاصدها، ممكن أن يكون التليفـــزيون مـــن أعظـــم أدوات البناء والتعمير الفكري والروحي والنفسي والأخلاقي والاجتماعـــي، والـــراديو والـــصحيفة كذلك، وممكن أيضا أن يكون من أعظم أدوات التخريب والإفساد، فهذا راجع إلى نوعية ما يتضمنه من مناهج وبرامج ومؤثرات"[2].

---

(١) مـــروان الكجـــك - الأســـرة المسلمة أمام الفيديو والتليفزيون - دار الكلمة الطبية- القاهرة- ط٣- (١٤١٠هـــ - ١٩٨٩م)- ص(٥٥) بتصرف.

(٢) د.يوسف القرضاوي: فتاوى معاصرة.

مقترحات تطوير الإفادة من الإذاعة والتلفاز:

-بالنسبة للإذاعة والتلفاز يحتاج تطويرها إلى خطة إصلاح شاملة تتمثل في:

أ-إصـــلاح الجهاز الإداري والفني لهذين الجهازين أو الوسيلتين الخطيرتين لما لهما من تـــأثير بالغ على عقول الأمة شبابها وشيوخها وأطفالها ونسائها، فتكاد تكون هي الموجه الأول للشباب والشيوخ والأطفال والنساء في البيوت.

وللأســـف الشديد فإن الجهاز الإداري والفني لهذه الأجهزة في كثير من الدول العربية والإسلامية واقع تحت تأثير سيطرة الإعلام الغربي الأمريكي والصهيوني، وذلك بتأثير حالة الانهزامية النفسية التي تظهر في محاولة التقليد التام والانصياع الكامل للغرب ومحاولة الأخذ عنه بلا قيود أو ضوابط، فيقدم المسئولون عن هذين الجهازين للأمة كلّ ما يعج به الغرب من صور الإباحية والفسق والفجور ورذيل العادات والأخلاق، ورديء الأفكار والمناهج وحثالة الفكر بلا تصفية ولا نظر فيما يحقق التقدم الحقيقي للأمة المسلمة وما هو سبب في هلاكها.

لـــذا ينبغي -إذا أردنا إصلاحًا حقيقيا لهذه الأجهزة أن نبدأ خطة التطوير من خلال حسن انتقاء المسئولين الإداريين والفنيين والقائمين على هذه الأجهزة لاسيما المسئولين عن اختـــيار الـــبرامج وإعدادها، حتى نحفظ على الأمة هويتها وعقيدتها وأخلاقها وتقاليدها الأصيلة وحتى لا تذوب الأمة وتنجرف في موجة العولمة الجارفة التي تعمل على استيعاب الأمم الضعيفة وإذابة هويتها عن طريق التبعية للغرب، وأخطر وسائلها على الإطلاق هي تلك الوسائل الإعلامية.

ب-رصـــد الجوائـــز القيمة لاستكتاب الأدباء والقصاصين والروائيين وكاتبي البرامج ومعـــدّيها للكتابة والتأليف والإعداد لبرامج فنية هادفة تناقش قضايا الأمة الملحة، وتبصر الأمـــة وتعمل على توعيتها التوعية الدينية والأخلاقية والثقافية والاجتماعية الصالحة التي تضمن الحفاظ على هوية الأمة وعقيدتها وقيمها الأصيلة.

ج-إتاحة الفرصة وإفساح المجال للبرامج الدينية المتنوعة من خلال الأفلام والمسلسلات والمـــسرحيات والـــندوات والمؤتمرات واستضافة العلماء والمشايخ وأهل الفكر والالتقاء

بالشباب من الجنسين وإدارة الحديث معهم حول قضايا الحياة المختلفة من خلال بيان الوجهة الإسلامية الصحيحة لهذه القضايا المختلفة.

د-تقديم قدر من المسلسلات الدينية التي تعرض الحياة اليومية المعاصرة، بحيث لا تقتصر المسلسلات أو الأفلام الدينية على القصة التاريخية فقط بواقعها البعيد عن مظاهر الحياة المعاصرة مما ينفر كثيرًا من الشباب الغارق في المظاهر العصرية المبتعد عن عبق الماضي المجيد.

بحيث يجد الشباب في هذه المسلسلات حلا لقضايا ومشكلات عصرهم من خلال الرؤية الإسلامية الصحيحة التي تشعرهم بضرورة تحكيم الدين في جميع أمور الحياة وعدم اقتصار الدين على أمر النسك والعبادات فقط بحيث يتم العمل على تغيير تلك الصورة المشوهة أو المحرفة أو القاصرة التي تقتصر على جانب واحد من الدين هو جانب العبادات فقط.

هـ-الاقتراب في هذه المسلسلات والبرامج من لغة الحياة اليومية المعاصرة الموافقة للبيئة التي تعرض فيها باعتبارها تصويرًا للواقع، وذلك لأن كثيرًا من المستمعين ينفر عن سماع البرامج الدينية نظرًا لتمسكها باتخاذ اللغة العربية الفصحى لغة للحوار والسرد مع تفشي الضعف العام والغربة شبه التامة عن اللغة العربية الأصيلة، وليس معنى ذلك الدعوة إلى تهميش اللغة العربية أو إلغائها من وسائل الإعلام، وذلك لأننا نجعل من خطتنا الدعوية الارتقاء باللغة العربية وتطوير طرق توصيلها إلى الناس، وإنما المقصود هنا هو ألا تكون البرامج الهابطة أكثر استحواذًا على عقول الناس ومحببة إلى قلوبهم أكثر من البرامج الدينية بفروق شاسعة يصعب تداركها. وذلك لأننا نؤمن أن القلوب تميل إلى الباطل وأننا مهما حاولنا تقريب المادة الدينية وتحبيب الناس فيها فإننا لا نستطيع صرف قلوبهم عن الميل إلى اللهو والباطل.

ولكن المطلوب ألا يبالغ أهل الباطل في عرض باطلهم في أبهى صورة وأكثرها زينة وتبرجًا، ثم يقعد أهل الحق عن تزيين بضاعتهم وعرضها في أبهى حللها من الزينة المباحة لأنها لا تدعو بحال إلى استخدام شيء من الوسائل المحرمة الممنوعة شرعًا لأن هذا شيء

مقطوع الخير ولا بركة فيه.

وذلك لأن غاية الأمر هو استخدام اللغة العامية في التوعية الدينية وبيان حقائق الدين للمخاطبين وهذا أمر ينبغي ألا يستنكر أو أن تقوم علينا فيه حملة شعواء، وذلك لأنه لا يختلف معي أحد من أهل العلم على ضرورة -ولا أقول جواز- الدعوة إلى الله بغير اللغة العربية. فكما يجب بيان الدين للإنجليزي باللغة الإنجليزية، وبيانه للفرنسي باللغة الفرنسية وهكذا، كذلك ينبغي بيانه للعامي الذي لا يتكلم بالفصحى إلا باللغة التي يعرفها وهي العامية.

معلوم أن من الناس من يتكلم الفصحى بجانب العامية أو يفهم كثيرًا من العربية بجانب العامية، غير أن الغالب على طبقة العامة أنهم لا يكمل فهمهم إلا بالعامية ولا تتضح لهم الأمور والحقائق إلا بها، ولا تتفتح آذانهم وقلوبهم إلا لها، فلماذا إذًا لا نخاطبهم بلغتهم والله تعالى يحث على أن يتكلم الداعي بلسان قومه ليبين لهم وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾[1].

ومن ثم فإني ألح ونحن بصدد الحديث عن تطوير الخطاب الدعوي على أمر تقدم العديد من البرامج الدينية باللغة العامية الساذجة سواء من خلال الدرس أو المحاضرة أو الفيلم أو المسلسل أو الندوة والمؤتمر هذا كله جنبا إلى جنب مع البرامج الدينية المماثلة باللغة العربية المعاصرة كذلك.

الشعراوي نموذجًا:

ولعل من أسباب نجاح داعية مثل فضيلة الشيخ الراحل محمد متولي الشعراوي أنه كان مع تناوله لكتاب الله تعالى تفسيرًا وبيانا لمواضع إعجازه المتعددة لغوية وعلمية وغير ذلك -أقول رغم تناوله لتلك الموضوعات الصعبة التناول والتي يصعب عرضها إلا من خلال لغة علمية أكاديمية جافة كان يتكلم بلغة سهلة وسط بين المبالغة في الفصحى والإغراق في العامية، فكان يتكلم اللغة العربية المعاصرة ويخلل حديثه لاسيما في مخاطبة

---

(١) إبراهيم: ٤.

الحاضـــرين ولفت انتباههم وجذب أنظارهم واهتمامهم ببعض الجمل العامية التي تستدعم التواصـــل بيـــنه وبين جميع الحاضرين على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم العلمية والمهنية والثقافية.

و-العمـــل على رفع مستوى اللغة العربية، وتطوير طريقة عرضها وتعليمها من خلال وسائل الإعلام المتعددة لاسيما الإذاعة والتلفاز، وذلك عن طريق:

أولا: تقـــديم الـــبرامج الحـــوارية المتعددة والمتنوعة في الموضوعات الهامة لاسيما التي تستحوذ على اهتمام الناس.

ثانـــيا: تقـــديم البرامج المتنوعة في قصص الحياة المختلفة بلغة عربية معاصرة، بحيث لا يطلـــق على تلك البرامج أنها برامج دينية، وإن كان هذا لا ينفي أن تكون برامج هادفة، وذلـــك لأن الكثير من الناس ينفر ويفر من البرامج الدينية خاصة إذا كانت باللغة العربية ويمـــيل إلى سماع قصص الواقع بأي لغة كانت ولو باللغة الأجنبية فمن باب أولى ينفر من سماعها باللغة العربية المعاصرة التي يعرفها ويفهمها.

ثالثًا: تطوير خطة تعليم قواعد العربية من خلال العرض في الإذاعة والتلفاز عن طريق الاهـــتمام بالتطبيقات الحوارية المتنوعة في شكل مشاهد تمثيلية تطبيقية على كل قاعدة من القواعد.

رابعًـــا: تقديم المسابقات المتعددة في اللغة العربية وترصد لها جوائز قيمة ويتم عرضها من خلال الإذاعة والتلفاز ومن الاقتراحات في هذا الصدد:

١-اكتشاف أخطاء المتحاورين على نحو برنامج إذاعي قديم عنوانه (الغلط فين) ولكن يكـــون الـــسؤال هـــنا على الخطأ في قواعد اللغة ومفرداتها وأساليبها بحيث يسأل مقدم البرنامج حوارا بين اثنين ثم يذكر بعد انتهائه أن هذا الحوار اشتمل على ثلاثة أخطاء مثلا في قواعد اللغة وأساليبها ومفرداتها ويطلب من المتسابقين اكتشافها.

٢-عمـــل مسابقات لمن يتكلم أطول فترة ممكنة دون أن يسجل عليه خطأ واحد في اللغة العربية نحوها وصرفها ومعجمها وبلاغتها...إلخ.

٣-عمل مسابقة لمن يقدم أجمل حوار باللغة العربية.

٤-الحث والتشجيع على المسابقات الأدبية بين الشباب في نظم الشعر.

٥-المسابقات في الخطابة بحيث يتم عرض عدد من المتسابقين يقدم كل منهم خطبة موجزة فيما لا يزيد عن خمس أو عشر دقائق بلغة عربية فصيحة في موضوع معين.

٦-مسابقة القصة القصيرة باللغة الفصحى.

٧-مسابقة الرواية العربية باللغة الفصحى.

٨-مسابقة المسرحية العربية باللغة الفصحى.

وينبغي عرض هذه المسابقات والأعمال في برامج مسموعة ومرئية وتقدم لها الجوائز الثمينة بحيث تحفز همم الشباب للارتقاء باللغة العربية.

٩-الاهتمام بتطوير عرض المادة المدرسية بطريقة إعلامية حوارية جيدة من خلال الإذاعة والتلفاز.

١٠-الاهتمام بعرض المسابقات بين أبناء المدارس في اللغة العربية في برنامج أوائل الطلبة في الإذاعة والتلفاز.

د-الأقمار الصناعية:

تعد الأقمار الصناعية من أعظم الوسائل الإعلامية التي يمكن التعويل عليها كثيرًا بين الوسائل الإعلامية في خدمة الدعوة، نظرًا لتمتع هذه الوسيلة الإعلامية بقدر كبير من الحرية الدعوية وامتلاك القرار بالنسبة للقنوات الإعلامية الخاصة حيث يتيح لها -قدرًا كبيرا من تلك الحرية الدعوية- يحررها من التبعية المباشرة للجهاز الإعلامي الحكومي في كثير من الدول المعادية للإسلام أو المضيقة على الدعوة إليه لما يقع عليها من ضغوط معينة من الدول العظمى.

فلئن كانت الأجهزة الحكومية للإذاعة والتلفاز لا تستطيع تنفيذ الكثير من مقترحاتنا السابقة لتطوير الإذاعة والتلفاز فبوسع هذه القنوات الخاصة أن تقوم بتنفيذ قدر كبير من هذه المقترحات للوصول إلى أكبر استفادة ممكنة من الأقمار الصناعية في الدعوة إلى الله تعالى ومن ثم يمكن لهذه القنوات الخاصة، وكذلك قنوات الأجهزة الحكومية المهتمة بشأن الدعوة الإسلامية أن تقوم بالآتي:

١-العناية بالمظهر الإسلامي للإعلامي مما يكون له أكبر الأثر في الدعوة إلى الله تعالى بطريقة علمية تشجيعية.

٢-إفساح المجال للإعلام الديني وإعطاء أكبر مساحة ممكنة للدعوة الإسلامية.

٣-إبراز القيم الإسلامية الغائبة أو النادرة في الأمة.

٤-كشف المؤامرات والمكائد المدبرة ضد الإسلام والمسلمين وتوعية المسلمين بها.

٥-الاهتمام باللغة العربية والعناية بها على النحو الذي سبق بيانه[1].

٦-رد الشبهات الموجهة للإسلام.

٧-الوقوف على قضايا العصر وتحدياته وتجلية موقف الإسلام من تلك القضايا المهمة.

نأتي لتفصيل الحديث بقدر الحاجة في النقاط السابقة:

١-بالنسبة للعناية بالمظهر الإسلامي:

لاشك أن ظهور المذيع أو المذيعة أو مقدمي البرامج بالمظهر الإسلامي سمتا وخلقًا وحديثًا يمثل نوعًا من القدوة الحسنة التي تغري بالتأسي، وتؤدي إلى شيوع الالتزام بالمظهر الإسلامي الحميد الذي يقود إلى الفضائل، ويمنع من الرذائل، ويعتبر بمثابة عنوان للعفة والطهارة، فهذا نوع من الدعوة العملية التي يكون لها أكبر الأثر في المخاطبين.

٢-وبالنسبة لإفساح المجال للإعلام الديني:

فلاشك أن الإعلام الديني مضيق عليه في أكثر بلدان المسلمين فلعله يكون في هذه القنوات متنفس لإذاعة البرامج الإسلامية المضيق عليها في كثير من هذه البلدان.

٣-بالنسبة لإبراز القيم الإسلامية الغائبة والنادرة:

فلاشك أن بوسع هذه القنوات أن تركز على القيم الإسلامية التي تحارب في كثير من البلدان مثل قيمة الحجاب وعدم الاختلاط الماجن والتحاكم إلى الشريعة الإسلامية...إلخ.

هذا وقد سبق الحديث عن بقية النقاط ضمن نقاط سابقة فلا حاجة للإعادة.

---

(١) انظر ما سبق في الحديث عن تطوير الإذاعة والتلفاز.

هـ- آلة التسجيل الصوتي(الكاسيت) والتسجيلات الصوتية:

من أجمل ما أبدعته حضارة القرن العشرين في وسائل الاتصال الحديثة، والذي يخضع تماما لتصرف الإنسان وتوجيهه ما يسمى بالمسجل.

فهو جهاز بسيط لا يحوي برامج خاصة ولا قنوات شاذة، وتقل أضراره كثيرا عما سواه من وسائل أخرى، بل ويمتاز بأنواعه المختلفة لاسيما وأن منه ما هو صغير الحجم، قليل الثمن يمكن بسهولة أن يحمل إلى أي مكان ويستعمل في تسجيل أي مادة في محاضرة أو ندوة أو لقاء.

و-آلة التسجيل المرئي(الفيديو) والتسجيلات المرئية:

الفيديو صنو التلفاز فكلاهما من وسائل الاتصالات السمعية البصرية التي تجذب حواس الإنسان جميعا، بل تأسره من خلال الصور والمشاهد والحركات المتتابعة التي تعرضها، إلا أن الفيديو يختلف عن التلفاز في أنه يعرض ما لا يعرضه التلفاز؛ حيث يختلف عنه إيجابيا في القدرة على التحكم فيه باختيار عرض النافع والمفيد والاقتصار عليه.

نعم لقد ملأت أجهزة الفيديو البيوت المسلمة وقل أن يخلو بيت منها، وفي غياب الرقابة والتربية غزت أشرطة الفيديو كاسيت المجتمع، وصارت تجارة رابحة يقبل عليها الشباب المسلم في مقتبل عمره، ويروجون أفلاما غربية غريبة ليست من نتاجنا بل دخيلة علينا، هذه الأفلام تحمل في داخلها سموما أخلاقية وسموما فكرية أريد بها القضاء على فلذات أكبادنا.

ز-أقراص الليزر الممغنطة(CD):

مقترحات للإفادة من آلات التسجيل والمرئي وأقراص الليزر:

آلتا التسجيل الصوتي والمرئي وأقراص الليزر (CD)[1] بالإضافة إلى ما سبق الحديث عنه من أهمية هذه الأجهزة، وكيفية استغلال منتجاتها من الأشرطة والاسطوانات،

---

(١) سيأتي الحديث عنها فيما بعد باعتبار ما تقدمه من المواد المكتوبة.

فإننـــا يمكننا أن ندلي هنا ببعض المقترحات الخاصة بكيفية تطوير الإفادة مـــن هـــذه الأجهزة:

١-الاهتمام بتسجيل البرامج الدعوية المميزة التي تعرّف بالدين الإسلامي بجميع لغات العالم.

٢-الاهتمام بتسجيل البرامج الدينية الهادفة لتنمية الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية.

٣-الاهتمام بتسجيل البرامج الترفيهية النافعة التي تقدم اللهو المباح من خلال المنظور الإسلامي.

٤-الاهتمام بتسجيل البرامج الهادفة التي تم إذاعتها في الإذاعة أو التلفاز.

وهاك تفصيل هذه النقاط:

١-تسجيل البرامج الدعوية المعرفة بالإسلام بجميع اللغات:

وذلك مثل:

أ-ترجمة معاني القرآن الكريم باللغات المنتشرة المختلفة.

ب-بيان أحكام العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج...إلخ.

ولاشـــك أن التسجيلات المرئية في مثل هذا النوع تكون أكثر فائدة لما يحتاج إليه من تـــصوير أوضـــاع الـــصلاة المختلفة، وكذلك تصوير مناسك الحج وغير ذلك مما يكون تصويره أكثر فائدة.

ج-التعريف بالأخلاق والآداب الإسلامية وبيان أثرها على الفرد والمجتمع.

د-التعريف بالمعاملات الإسلامية الصحيحة.

٢-تسجيل البرامج الدينية الهادفة في الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية وذلك مثل:

أ-البرامج التي تشرح وتبين صور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية.

ب-تسجيل الحوارات والمناقشات حول القضايا الإسلامية الهامة.

٣-تسجيل البرامج الترفيهية المباحة والنافعة مثل:

أ-القصص الدينية والقصص الواقعية النافعة.

ب-الأناشيد الإسلامية للأطفال والشباب.

ج-تسجيل الأفلام والمسلسلات الدينية بضوابطها الإسلامية.

د-إعـــادة إنتاج وتسجيل الأفلام الدينية وغيرها بعد عمل (مونتاج) تكييف ديني لها بالحذف والإضافة.

هـــــ-إنتاج أفلام الكرتون ذات القيم الإسلامية باللغة العربية الفصحى لتربية وتقويم الطفل السليم، وقد أثبتت التجربة تقبل الأطفال لهذه النوعية من الأفلام باللغة العربية تقبلاً حسنًا.

و-إنتاج ألعاب الذكاء المفيدة للطفل.

٤-تسجيل البرامج الهادفة التي سبق إذاعتها مثل:

أ-حلقات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

ب-الحلقات التي تربط بين العلم والإيمان.

ج-عـــرض مـــشاهد الخلق ودلائل القدرة من خلال عالم الحيوان عالم النبات- عالم البحار- عالم الأفلاك...إلخ.

د-الندوات الحوارية والمؤتمرات حول القضايا الإسلامية.

هـــ-الأفلام والمسلسلات الدينية.

ح-الهاتف.

لا شـــك أن الهاتف يمثل نقلة حضارية هائلة تعد حقا آية من آيات هذا العصر الذي أنعـــم حياتنا بسيل من وسائل الاتصالات التي جعلت العالم كله كقرية صغيرة تسير فيها الأخبار والمعلومات بسرعة البرق، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿**عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[1].

ونظـــرا لأن الهاتـــف وسيلة هامة لا يمكن الاستغناء عنها فقد قام العلماء بتطويره في أشـــكال مختلفة، كالمحمول، واللاسلكي.. إلخ، وأقبل الناس على شرائه، ودخل الهاتف -تقـــريبا- معظـــم البيوتات، بل إن الهيئات والمؤسسات التليفونية ساعدت المواطنين على

---

(١) العلق: ٥.

استخدامه بصور مختلفة بسهولة ويسر.

ونظرة الإسلام للهاتف لم تختلف عن نظرته للتلفاز والمسجل والمذياع وغيرها من الوسائل الحديثة التي لم يتعلق بها في نفسها حكم وإنما يتعلق الحكم باستعمالها، فإن استعملت في محرم فذلك حرام، وإن استعملت في الخير وفي الأمور المباحة فذلك جائز.

إن هذه الآلة لسهولة استخدامها انتشرت بين الناس انتشار النار في الهشيم، وخرج كثير من الناس في استخدامها على الآداب الإسلامية؛ ومن ذلك استخدامه في المؤسسات العامة بدون استئذان، واستخدامه في التجسس والتصنت...إلخ.

مقترحات لتطوير الإفادة من الهاتف:

سبق الحديث عن أهمية الهاتف وبعض فوائده في الدعوة إلى الله تعالى، ونركز الحديث هنا على كيفية تطوير الإفادة منه في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك من خلال الآتي:

١-عمل خط دعوي ساخن للإجابة على المشكلات التي تحول دون الالتزام بالشرع والتقيد بضوابطه، يمكن تسميته بمشروع الهاتف الإسلامي، ويتم الإجابة فيه على مختلف الأسئلة الدينية في جميع نواحي الحياة.

وينبغي أن تكون هذه الخطوط الهاتفية تابعة لوزارات الأوقاف والدعوة والإرشاد، أو لجمعيات إسلامية رشيدة مسئولة تقدر أمانة الكلمة، وتهتم بأمر الدعوة الإسلامية وفق الضوابط الشرعية الأصيلة.

٢-عمل خط دعوي آخر معلن من شأنه الاتصال بالشخصيات المهمة، وتقديم التهنئة الشرعية لهم في المواسم الدينية المختلفة وغيرها، وتقديم المساعدة والمعونة لهم في الإجابة عن أي استفسارات دينية خاصة بهم بحيث يتم ربط هؤلاء المسئولين بطريقة لطيفة بعلماء الأمة ودعاتها بما يضمن سلامة مسيرتهم وحسن توجيههم لما فيه الخير والسداد.

٣-استخدام هذه الوسيلة المهمة على المستوى الفردي في الدعوة إلى الله تعالى وتذكير الأهل والأقارب والأصدقاء والجيران بطاعة الله تعالى والاستقامة على منهجه

وذلك عن طريق:

أ-تذكيرهم بموعد درس علم لأحد العلماء أو المشايخ.

ب-تذكيرهم أو تنبيههم للاستماع إلى برنامج دعوي مهم في الإذاعة أو التلفاز، وليس في ذلك أدنى حرج أن تدق على صديقك وتقول له: الآن على قناة اقرأ حلقة مهمة لفضيلة الشيخ فلان فليتك تتابعها.

ج-الاتفاق مع الأصدقاء على أنّ يوقظ الواحد منهم الآخرين لصلاة الفجر بأن يدق الهاتف عليه ليؤذنه بالصلاة ولو بغير مكالمة، بحيث يحصل على أجر عظيم دون أدنى تكلفة.

ط-الشبكة العالمية (النت)[1].

"لا شك أن الإنترنت (الشبكة الدولية للمعلومات) هي أعجوبة العقد الحالي[2] ومعجزته التي انتشرت بشكل مذهل في جميع أنحاء العالم؛ حيث يصل العدد الحالي لمشتركي الإنترنت ٣٠ مليون مستخدم"[3].

مزايا شبكة الإنترنت:

وهذه الشبكة لها مزايا لا حصر لها نذكر منها:

-"استخدام البريد الإلكتروني (إرسال واستقبال) مع مختلف مناطق العالم بأي عدد من الرسائل وبأسرع ما يمكن.

-عرض الأبحاث العلمية والاستفادة من أبحاث الغير.

-نشر الآداب والفنون والاطلاع عليها"[4].

-"عرض السلع والمنتجات والتسوق لكل من الشركات والأفراد.

-الاطلاع على القوانين والتشريعات في العديد من الدول.

---

(١) سيأتي الحديث عنها كذلك من حيث الإفادة منها كوسيلة للمكاتبة الدعوية.

(٢) نحن الآن في القرن الحادي والعشرين.

(٣) فاروق حسين: الإنترنت- ص(٥).

(٤) السابق، نفس الصفحة.

-إمكانية تعلم لغة جديدة؛ لأن شبكة الإنترنت تحمل لغات أخرى عديدة تتحدث بها أجهزة الكمبيوتر في هذه الدول.

-الطـــواف حـــول العالم من خلال الشبكة الإخبارية؛ وذلك لأن الشبكة الإخبارية تنطوي على العديد من المجموعات الثقافية والاجتماعية الخاصة بمختلف الدول"[1].

هذا بالإضافة إلى فوائد غير ذلك كثيرة.

مخاطر الإنترنت:

ولا ننـــسى كذلك أن نشير هنا إلى بعض سلبيات هذا "الإنترنت"، فليس كله خيرًا محضا، بل له عديد من التأثيرات السلبية، مثل:

(١) المخاطر المتعلقة بالأخلاق:

يقـــول صاحب كتاب "تكنولوجيا الاتصال": من المخاطر التي تحوط شبكة الإنترنت أنه توجد مواقع على هذه الشبكة للحب والزواج والعلاقات غير الشرعية.. وقد أنشأت جامعات أوروبية وأمريكية وطوائف دينية ومذهبية بعض هذه المواقع، وأنشأ هواة ومدمنو الحاســـوب والتجول عبر الإنترنت بعضها الآخر، وكالعادة، استغلت شبكة المافيا العالمية بعض هذه المواقع؛ لتحقيق أرباح من هذه العلاقات المحرمة وتسويق الفتيات والسيدات من روسيا وأوكرانيا ودول شرق أوربا عبر هذه الشبكة.

(٢) المخاطر المتعلقة بزعزعة عقيدة المسلمين:

حـــيث تقـــوم إحدى المنظمات المشبوهة من خلال شبكة الإنترنت بمحاولة لتشويه القـــرآن الكـــريم؛ حيث طالبت هذه المنظمة من زوار موقعها على الإنترنت بتأليف سور تحاكـــي الـــسور القرآنية الكريمة، في محاولة منها لإقناع جمهور الشبكة العالمية بأن القرآن لـــيس معجزة إلهية من عند الله، بل هو من صنع البشر، وقد تواصلت الجهود والمحاولات لتحريف القرآن الكريم على شبكة الإنترنت.

---

(١) بهاء شاهين: شبكة الإنترنت، ص(١٥٥) باختصار.

(٣) المخاطر المتعلقة بالإباحية الإلكترونية:

حيث تحتوي شبكة الإنترنت على آلاف الصور الخليعة والتي يصعب الدخول إليها دون معرفة كلمة السر "Password" التي تساعد على دخول الشبكات الخاصة أو السرية، وهناك صور تظهر للمتصفح دون دخول على هذه المواقع الإباحية.

(٤) سرقة الوقت والخدمات:

(٥) سرقة المعلومات:

إلى غير ذلك من المخاطر والسلبيات التي ظهرت مؤخرا عبر شبكة الإنترنت[١].

مقترحات لتطوير الإفادة من الشبكة الدولية (النت):

سبق الحديث عن أهمية الإفادة من هذه الشبكة في الدعوة إلى الله تعالى، وتحدثنا عن بعض الصور التقليدية في ذلك، ويمكننا أن نضيف هنا بعض صور تطوير الإفادة من هذه الوسيلة المهمة، فمن ذلك:

١-تخصيص غرف للحديث على الإنترنت فيما يسمى بالـ chat أو الدردشة تكون تابعة للمراكز الإسلامية الدعوية المتخصصة ويفرغ لها جماعة من المتخصصين على أن يكون هناك نوعان من هذه الغرب:

أ-نوع معلن بأسماء هذه المراكز الدعوية الإسلامية يكون الهدف منها الدلالة على الخير للراغبين فيه الباحثين عنه أو الرد على دعاوى المناوئين للإسلام الصحيح.

ب-نوع غير معلن عنه بأسمائه الإسلامية، وإنما يمكن تسميته بأسماء وهمية شبابية يكون الهدف منه اصطياد الشباب إلى تلك المواقع، ويمكن لمدير الغرفة أن ينوع الحديث في هذه الغرفة في المجالات الحياتية المختلفة وينتقل من ذلك إلى توجيه الشباب التوجيه الإسلامي الصحيح في هذه الأمور في مختلف مناحي الحياة، خاصة وأن ديننا الحنيف ليس قاصرًا على مجال النسك وحدها بل يتسع لجميع مجالات الحياة.

وينبغي أن يقوم على أمر هذه الغرف هيئات ومراكز إسلامية متخصصة مثل إدارة

---

(١) انظر بتوسع: د.شريف اللبان: تكنولوجيا الاتصال، ص(١٠١) وما بعدها.

الدعوة والإرشاد أو الأزهر الشريف أو الأوقاف ونحوها وذلك للآتي:

أولا: حتى يقدم لها الدعم المادي الكافي من جهة توفير الموظفين المتخصصين المتفرغين لهذا الأمر.

ثانيا: ضمان عدم انحراف هذه الغرف عن مهمتها الأساسية وعدم تلاعب الأشخاص بها، وتوافر الرقابة الكافية عليها.

٢-تخصيص مواقع ثابتة تشتمل على المواد الإسلامية المقروءة والمسموعة التي تبين الإسلام والعقيدة الصحيحة وتدفع عن الإسلام السهام الموجهة إليه من أعدائه ومناوئيه.

٣-تخصيص مواقع ثابتة للإجابة الفورية على الأسئلة الدينية المختلفة من خلال فريق من العلماء يتناوبون على هذه الغرف على مدار (٢٤ساعة) ويمكن البدء بساعات محددة ثم تزيد بحسب الحاجة (ولاشك أن الحاجة ملحة في ذلك).

٤-فضلاً عن تدعيم الطرق التقليدية المعمول بها الآن مثل بث المحاضرات والدروس العلمية عبر مواقع إسلامية في الإنترنت.

٥-توفير الخطب والدروس والمحاضرات وسائر التسجيلات الصوتية لمشاهير العلماء والدعاة لمن يريد الحصول عليها من المواقع الإسلامية في الإنترنت.

ع-السينما:

من المعروف أن السينما من أحدث صور التقنية التي وصل إليها العقل البشري في العصر الحديث، "وهي من الناحية العلمية جهاز أو آلة لالتقاط صور على فيلم (شريط)، وجهاز آخر أو آلة لعرض هذا الفيلم، وبعد ذلك تأتي أجهزة وأدوات مساعدة لصناعة السينما مثل أجهزة تحميض - أي إظهار وتثبيت الفيلم وطبعه - وأجهزة المونتاج (أي: التوليف)، ومكان العرض، وأجهزة الصوت.. إلخ، وهي الآلات والمستلزمات الضرورية لإنتاج وعرض الأفلام السينمائية ذات الصور التي نراها أو -ندركها- متحركة ونسمعها ناطقة بالألوان"[1].

---

(١) د.محمود عبد الرءوف: مقدمة في علم الإعلام والاتصال بالناس، ص(١٧٩).

أما من الناحية الخلقية فهي أداة لبث عادات العالم الغربي بما يكتنفها من فجور وإباحية ودعارة وشذوذ وعنف وجريمة وفساد بين العالم الإسلامي أو كما يسمونه "العالم الثالث"، هذا العالم الذي يعتنق التوحيد ويقدس الفضيلة، ويسمو على هذه الموبقات.

نعم إن المتأمل لأوضاع السينما في بلادنا يجد أنها تحارب الدين باسم الفن، وتحارب الالتزام والتدين باسم الحرية والانطلاق!!.

إن السينما اليوم لا تعرض فيلما إلا وفيه مناظر فاسدة، ومشاهد مائعة ماجنة حتى صارت التجارة فيها بالأعراض والجنس باباً للرزق، وميدانا للسبق عند أصحاب المطامع الخسيسة، وذوي النفوس الهابطة الدنيئة والضمائر المتعفنة.

مقترحات لتطوير الإفادة من السينما:

لا تزال السينما الدينية حلما بالنسبة لكثير من المسلمين ويرجع تأخر هذا الأمر لأسباب عديدة منها:

١-عدم إقبال كثير من الناس على الفيلم الديني، وذلك لأسباب من أهمها:

أ-الفساد والانحلال العام والإقبال على أفلام اللهو والإباحية.

ب-عقم المعالجة لهذا النوع من الأفلام مثل الحديث باللغة الفصحى، وعدم معاصرة القضايا والموضوعات، وغير ذلك.

٢-عدم تقديم الدعم الكافي من الحكومات أو المؤسسات الدعوية لإنتاج الأفلام الدينية.

٣-المحاذير الشرعية في التمثيل عمومًا، والتي تحتاج إلى قيام لجنة شرعية دعوية بمراقبة المواد المقدمة لضمان شرعيتها.

وإزاء هذه المحاذير فإن الأمر يحتاج إلى جهود حكومية مؤسسية وليس إلى جهود فردية، ومع إعراض المسئولين في كثير من الدول العربية عن الاهتمام بأمور الدعوة الإسلامية فإن هذا الأمر سوف يتأخر كثيرًا، حتى تحدث صحوة دينية لدى القطاع العريض من الناس ترفض أفلام العشق والغرام وتطالب بأفلام القيم الدينية المحترمة.

دعـــوية فعالة وأنشطة تعمل لخدمة الإسلام، وتطلب من هؤلاء المرشحين تقديم يد العون والمـــساعدة لخدمـــة الأعمـــال الدعـــوية بمختلف الوسائل البشرية أو المادية أو الفكرية التخطيطية أو الآلية أو غير ذلك.

٢-الكتاب والرسائل الدعوية:

قال الشاعر الحكيم أبو الطيب المتنبي:

وخـــير جلـــيس في الزمان كتاب[١] أعـــز مكـــان في الدنا سرج سابح

وصـــدق الشاعر العظيم؛ فالكتاب لم يزل يحتفظ بمكانته العلمية والثقافية رغم تطور وسائل الاتصالات الجماهيرية من تلفاز ومذياع وصحف ومجلات...إلخ.

"والكـــتاب وسيلة إعلامية أساسية في حياتنا؛ فعليه يعتمد النظام التعليمي، والتثقيف الشخـــصي، و لا غـــنى للمرء مطلقا عن الكتاب حتى وإن قرأ الصحيفة وشاهد التلفاز واســـتمع إلى المـــذياع؛ فكـــل أولـــئك يفتقر إلى التفصيل والتعميق والتحليل والشمول والموضوعية.

فـــإذا كانـــت الـــصحف والمجلات مادتها الأساسية الأخبار والتعليق عليها وتفسيرها والتحقـــيقات والأحاديـــث والـــصور الصحفية، أما الكتاب فمادته الأساسية هي العلم والثقافة"[٢].

إن الكـــتاب هو الذي يمدنا بالعقيدة السليمة والعبادة الصحيحة والأخلاق الفاضلة، وهـــو الـــذي ينقل لنا بتوسع واستفاضة سير الصالحين والصالحات من أمتنا، وهو الذي يغذينا بشتى أنواع المعارف الإنسانية.

ولقـــد حثنا الدستور العظيم على القراءة، فقال تعالى في أول آية نزلت على رســـول الله ﷺ: ﴿**اقْـــرَأْ بِاسْـــمِ رَبِّـــكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْـــرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(٤) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[٣]، وأقسم الله عز وجل

---

(١) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، شرحه وكتب هوامشه: مصطفى سبيتي، (٢ / ٢٤٣).

(٢) مقدمة في علم الإعلام والاتصال بالناس، ص(١٣٧) باختصار.

(٣) العلق: ١-٥.

بـــالقلم وبالكتابة، فقال: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[1]؛ فالقراءة والكتابة عنصر أساسي في الـــنهوض بتكاليف هذه الرسالة وتبليغها للناس كافة، كما أن من مقومات الشخصية المـــسلمة ثقافـــة الفكـــر، ولا يتأتى ذلك إلا بالاطلاع الواسع على كتب العلوم والثقافة الإسلامية، وهي:

أولا: القرآن الكريم وعلومه.

ثانيا: السنة النبوية وعلومها.

ثالثًا: العقيدة.

رابعًا: السيرة والتراجم.

خامسًا: الفقه وأصوله.

سادسًا: الرقائق والتزكية.

سابعًا: فقه الدعوة والحركة.

ثامنًا: الفكر الإسلامي.

تاسعًا: الثقافة العامة.

مقترحات لتطوير الإفادة من الكتاب:

لا يحـــتاج الأمـــر إلى المزيد في بيان أهمية الكتاب والرسالة الدعوية في الدعوة إلى الله تعالى، وقد سبق بيان شيء من ذلك، ولكن نحتاج هنا إلى التركيز على:

أ-ضـــرورة دعم الكتاب والرسالة الدعوية من المؤسسات الخيرية والأجهزة الحكومية المهـــتمة بأمر الدعوة الإسلامية؛ حتى يتم توفير الكتاب أو الرسالة الدعوية بأزهد الأثمان للقارئ، أو إهداؤه بالمجان عن طريق تبرعات القادرين.

ب-الاهتمام بطريقة طباعة الكتاب والرسالة الدعوية من حيث وضوح الخط، وجمال الشكل، وجودة الورق، وغير ذلك من الوسائل المرغبة في اقتناء الكتاب والمرغبة في قراءته كذلك مما لا ينكر أثره.

---

(١) القلم: ١.

ج-إيجاد نوع من الرقابة العادلة والمنصفة للكتب والرسائل الدعوية تسمح للجيد منها بالظهور والانتشار وتحد من الزائف المحرف الذي ينشر البدع والخرافات ويحارب الإسلام بقصد أو غير قصد.

د-استكتاب الكتاب الإسلاميين في الموضوعات التي تحتاج إليها الأمة والتي تعاني المكتبة الإسلامية والدعوية من نقص فيها وذلك عن طريق:

أ-المسابقات الدينية ذات الجوائز القيمة.

ب-إنشاء دور نشر مدعمة من الأجهزة الدعوية.

ج-قيام المؤسسات الدعوية الخيرية بتكليف العلماء والمشايخ بمثل هذه الأعمال.

٣-الصحيفة والمجلة.

تحتل الصحف والمجلات الصدارة في تثقيف الجماهير، وتوجيه الرأي العام في البلاد، وقد تربعت الصحافة على عرش التأثير زمنا طويلا حتى غدت آية من آيات الزمان، حتى قال فيها أمير الشعراء أحمد شوقي:

وآية هذا الزمان الصحف لكل زمان مضى آية
وكهف الحقوق وحرب الجنف[1][2] لسان البلاد ونبض العباد

لقد غدت الصحيفة بما تتمتع به من عناوين جذابة، ومقالات متعددة وصور ورسوم ونكات كثيرة اللسان الناطق عن أحوال الأمم والشعوب، والخطيب البارع الذي يسوق الحجج والبراهين على مراده، والفنان المبدع الذي يصور بريشته ولقطاته الأحداث "فغدا كثير من الناس لا يستغني عن شرا ها ومطالعتها يوميا، بل الكثير منهم لا يتناول فطوره إلا بعد الاطلاع على صحف اليوم"[3].

---

(١) الجنف: الحيف.

(٢) الشوقيات، (١/١٢٥).

(٣) د.ناصر العمر: البث المباشر، ص(١٣) بتصرف.

يقول أحد المفكرين محللا هذا التأثير: "ويأتي تأثير الصحافة كذلك من شكلها المادي، إن الصحيفة تتمتع بقوة الكلمة المطبوعة، وبهذا العامل النفسي الذي يجعل قارئ الصحيفة لا يخشى أن تخدعه؛ لأنه يعلم أن هناك ملايين القراء يصدقون مثله بسرعة، وإذا لم تكن الصحيفة تتمتع بالسحر الشخصي الذي يتمتع به الخطيب، وبالتأثير الوجداني الذي يربطه بالمستمع ويشيع الإيمان، فإن الصحيفة تتفوق على الخطيب في تقدمها بحيل مختلفة على شكل جرعات صغيرة"[1].

من هنا كانت أهمية الصحف بين وسائل الاتصال المختلفة، فهي وسيلة دورية لنشر الأخبار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والترفيهية.. إلخ، تشرحها وتعلق عليها فيخرج القارئ وقد أحاط علما بما حوله من قضايا وأحداث، ونمى عقله وذوقه بما فيها من منوعات وأدبيات.

مقترحات لتطوير الإفادة من الصحيفة والمجلة الإسلامية:

للصحيفة وتليها المجلة أهمية ليست للكتاب والرسالة نظرًا لكونها أكثر تداولا وأوسع انتشار وأخف على القارئ نظرًا لسهولة موضوعاتها وتنوعها وسهولة أسلوبها...إلخ.

ومما يقترح لتطويرهما:

أ-رصد الدعم المادي الكافي لطباعة الصحيفة أو المجلة الإسلامية من الأجهزة الحكومية المعنية بشئون الدعوة الإسلامية.

ب-اهتمام المؤسسات الدعوية الخيرية أن يكون لها صحيفة أو مجلة دعوية تكون لسان دعوتها وتعبر عن أهدافها وقضاياها وتشارك بدورها في الدعوة إلى الله تعالى.

ج-الاهتمام بجودة طباعة الصحيفة من حيث الشكل والمضمون.

د-الحرص على الاهتمام بالقضايا الإسلامية المعاصرة.

هـ-الحرص على سلامة الأسلوب واختيار اللغة الفصيحة المعاصرة.

---

(١) د.خليل صابات: الصحافة، ص(٢٥٤).

و-الحـــرص على تنوع الموضوعات لتشمل بيان رأي الإسلام في جميع مجالات الحياة بحيث تشمل جميع الاهتمامات والتخصصات.

٤-الإعلانات والملصقات.

تأتي أهمية الإعلانات والملصقات وفائدتها في أنها تذكر بالأمور والحقائق التي تنوسيت في المجتمع الإسلامي أو يتناساها الناسي رغم وضوحها وكونها من المسلمات، وذلك مثل: الـــصلاة، الحجـــاب، الصدق، تقوى الله، ذكر الله، غض البصر، مساعدة المحتاج، إرشاد الضالة...إلخ.

فـــيمكن أن توضع اللافتات الجميلة التي يمكن أن تساهم في تجميل البيئة على ناصية الشوارع والطرق مثل:

١-الصلاة أولا.

٢-قم إلى الصلاة متى سمعت النداء.

٣-الحجاب عفة وطهارة.

٤-شرف المرأة حجابها.

٥-﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ** ﴾.

٦-"اتق الله حيثما كنت".

٧-"لا يزال لسانك رطبا بذكر الله".

٨-"اذكر الله".

٩-"الدين حسن الخلق".

١٠-"إماطة الأذى من الإيمان"...إلخ.

لاشـــك أن كـــل واحدة من هذه الجمل الموجزة تمثل رسالة كاملة، أو هي خلاصة كـــتاب أو مجلـــد كبير، فهي تذكر بفضيلة أو تدعو إلى خصلة من خصال الخير قد يغفل المسلم عنها في زحمة الحياة وماديتها.

ولتطوير هذا الأمر نقترح الآتي:

١-اهـــتمام الأجهزة المعنية بالبيئة مثل مجلس الحي أو المدينة أو المحافظة أو البلدية بمثل

هذه الأمور وتشجيع الناس عليها بدلا من منعها وإزالتها.

٢-تقديم الدعم المادي لها من تلك الأجهزة بحيث توضع تلك اللافتات في شكل حضاري جميل، ويمكن أن يخصم جزء من قيمة الضرائب والعوائد والمرافق ونحو ذلك لواضعي مثل هذه اللافتات الجميلة.

٣-يمكن أن تستخدم هذه اللافتات كدعاية للمحال التجارية بحيث يقترن اسم المحل أو الشركة التجارية مع الإعلان مثل: "الصلاة أولا" (مع تحيات شركة كذا..).

وفي مقابل ذلك تعفى هذه الشركات من دفع رسوم الدعاية للحي أو المدينة.

٥-الحاسوب وأقراص الليزر (CD) .

يمكن الإفادة من الحاسوب في كتابة الرسائل الدعوية وإرسالها، وكتابة الكتب والمؤلفات الدعوية وإعدادها للطباعة ونحو ذلك، ويمكننا الحديث في تطوير استخدامه الدعوي في أهم منتجاته أو مخرجاته في صورة:

-أقراص الليزر (CD):

ويمكن الإفادة منها في تطوير منهج الدعوة بالآتي:

أ-أن تقوم هيئات الدعوة والإرشاد بإنتاج اسطوانات توزع على الدعاة تشمل:

١-مكتبة إسلامية متكاملة لخدمة الداعي.

٢-الموضوعات والقضايا الإسلامية المعاصرة.

٣-أهم الخطب العصرية التي ينبغي أن يطرحها الدعاة مع الخطب التقليدية (مكتوبة).

٤-خطب أهم الدعاة والمشايخ المشهورين الذين ينبغي احتذاء أسلوبهم ومنهجهم في الدعوة إلى الله (مكتوبة ومسموعة).

٥-توزيع هذه الاسطوانات على الدعاة بالمجان.

٦-البريد الإلكتروني.

ويمكن تطوير الإفادة منه بالآتي:

إرسال الرسائل بالبريد الإلكتروني (الإميل E-mail) عبر شبكة الإنترنت في المناسبات

الدينـــية إلى الشخصيات السابق ذكرها تهنئهم بالمناسبة، وتذكرهم فيها بتجديد العهد مع الله تعالى.

ويمكن إرسال مثل ذلك بالفاكس أو البرق أو البريد العادي.

إرسال الإصدارات الجديدة من أشرطة الكاسيت أو الفيديو أو الـــCD الاسطوانات الإلكترونية المضغوطة لأهم الدعاة المؤثرين في الأمة في صورة هدايا مجانية مع كروت تحية أو مـــا شابه ذلك للشخصيات المهمة الذين سبق الإشارة إليهم ويمكن إرسال ذلك كله مكتوبا ومقروءًا عن طريق النت والبريد الإلكتروني.

إرسال الإصدارات الجديدة من الكتب والرسائل الصغيرة المؤثرة لأهم الدعاة المؤثرين في صورة هدايا كذلك للشخصيات المذكورة.

٤-إرســـال التوجـــيهات والنـــشرات والدوريات والأخبار الدعوية الهامة كأخبار المسابقات الدينية وخلافه للعاملين في الدعوة عن طريق البريد الإليكتروني.

٥-إرسال بطاقات التعارف والدعوة الدينية للشخصيات الهامة.

٦-إرسال بطاقات التهنئة والتذكير بالاستقامة للشخصيات الهامة.

رابعًا: الوسائل التخطيطية

ويشمل المباحث التالية:

١-التخطيط بين السرية والجهرية

٢-التخطيط بين الفردية والجماعية

ويشمل الأشكال التالية:

أ-دعوة الفرد للفرد

ب-دعوة الفرد للجماعة

وتنقسم للأشكال التالية:

١-الجلسة أو المحادثة.

٢-المحاضرة.

٣-الخطبة.

٤-الندوة.

٥-المؤتمر...إلخ.

ج-الدعوة الجماعية والعمل الجماعي:

ويشمل المباحث التالية:

(أ)مشروعية العمل الجماعي والدعوة الجماعية.

(ب)أصول العمل الجماعي وشروطه وضوابطه.

(ج)صوره وأشكاله المقترحة في الواقع المعاصر.

٣-الدعوة بين التدرج والتسرّع.

ويشمل:

أ-التوفيق بين كمال الشريعة والتدرج في التبليغ.

ب-الدعوة إلى التدرج من منطلق الحكمة.

ج-التدرج لا يعني كتمان الدين.

د-لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

هـ-التدرج في الفروع لا الأصول.

و-خطر الاستعجال في الدعوة إلى الفروع.

ز-الدعوة إلى الأهم فالأهم.

ح-مقياس الأهمية نصوص الشريعة.

٤-الدعوة بين الإجمال والتفصيل.

٥-الدعوة بين المقامية والانتقالية.

أ-الدعوة المقامية.

ب-الدعوة الانتقالية (ميادين الدعوة).

١-المساجد.

٢-الأندية.

٣-أماكن العمل.

٤-قوافل الدعوة.

٥-القري والمدن المجاورة.

٦-الدعوة خارج القطر.

أولاً: التخطيط بين السرية والجهرية:

لا نقصد بالسرية هنا أن يتحول الدعاة إلى خفافيش يخفون دعوتهم ويسّرون بها من وراء الظلمات.

فمثل هذه الدعوات السرية لا تكون دعوة شريفة في غالب الأمر بل لم يعرف تاريخ العالم -في الغالب- فن تلك الدعوات السرية إلا ما يخفي وراءه الشر والغدر ولا تكون الدعوة ذات سرية مطلقة إلا إذا كانت دعوة هشة لا تملك من الحجج والبراهين ما يمثل قناعة لدى عقلاء البشر ومنصفيهم ممن يبتغون الحق وينشدونه؛ لذا فهي تخفي عقائدها وأفكارها وتجعلها قاصرة على طائفة معينة من السذج أو ذوي الأطماع والحاجات الذين وجدوا في هذه الدعوة السرية سبيلا إلى تحقيق مطامعهم.

ولذا فنحن نحذر بشدة شباب المسلمين من ترك سبيل الدعوة الواضحة البينة الساطعة

على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، واتباع ما عدا ذلك من الدعوات السرية التي يسيطر فيها شخص ذو طبيعة خاصة على مجموعة من الأفراد غالبا ما يكونون من الشباب المتعجلين لتغيير واقعهم بلا حكمة ولا روية[1].

فالدعوة الإسلامية لا تعرف السرية المطلقة، فالسرية فيها تكون جزئية لبعض الأمور، ولا يشمل ذلك بالطبع المفاهيم الأساسية للعقيدة إلا في حالات التعرض للهلاك المحقق بسبب إظهار تلك العقيدة، وقد تكون السرية مرحلية في وقت دون وقت في بعض الأمور لا في الأمور كلها.

فقد رأينا كيف بدأ النبي ﷺ بالدعوة إلى الإسلام سرًّا في السنوات الثلاث الأولى، وكان ذلك موافقًا تمام الموافقة لحال الدعوة في هذا الوقت حيث كان يخشى أن يطلع صناديد الشرك على أمر الدعوة فيقضوا عليها وهي في مهدها.

فلما اشتد ساعد الدعوة وقوي عودها جهر النبي ﷺ بدعوته حيث أصبح لها من الأتباع والأنصار ما يأمن به استئصال شأفة الإسلام والمسلمين.

وإذا أردنا أن ننظر في تطبيق هذه الوسيلة التخطيطية في واقعنا المعاصر، فإننا ينبغي ألا نخدع بأن الإسلام قد ملأ ربوع الدنيا من مشرقها إلى مغربها، وأن عدد المسلمين اليوم يقدر بالمليارات؛ ففي الحقيقة أن هذه مظاهر خادعة، فالمقياس لا يكون أبدًا بالكثرة، وقد أخبر النبي ﷺ أن الأمم سوف تتداعى على المسلمين كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها وهم مع ذلك كثير، ولكن كثرة كغثاء السيل[2].

وفي ضوء ما سبق عرضه من المؤثرات الخارجية والداخلية على مسيرة الدعوة الإسلامية اليوم، وفي ضوء هيمنة العولمة، وسيطرة الإمبراطورية الأمريكية على العالم عامة، وعلى الشعوب العربية الإسلامية خاصة، يتبعها في ذلك قوى الشر العالمية الذين

---

(١) لنا في تفصيل هذه النقطة رسالة بعنوان: "تحذير البرية من آفات الدعوة السرية" يسّر الله طبعها وإخراجها.

(٢) الحديث أخرجه أحمد وأبو داود من حديث ثوبان مرفوعًا بسند صحيح وفيه أن رسول الله ﷺ قال: "يوشك أن تتداعى...." الحديث.

استقطبتهم أمريكا أو تحالفت معهم كبريطانيا وغيرها، في ضوء تلك الظروف السياسية والعسكرية الراهنة نستطيع أن نؤكد ما هو واقع ملموس للجميع أن الإسلام والمسلمين صاروا مستهدفين لقوى الشر في العالم أجمع، وأن الإسلام والمسلمين اليوم يواجهون حربا ضروسًا من جهات عديدة من أعداء الإسلام، فما بين يهودية محتلة طاغية، وما بين صليبية حاقدة، أو شيوعية ملحدة على اختلاف جهات تلك الطوائف وتوزعها الجغرافي بين الشرق والغرب.

وأعود فأقول ينبغي على دعاة المسلمين في ظل هذه الظروف الراهنة أن يكون لديهم ما يخفونه وما يحتفظون به لوقته وحينه.

فكما أن النبي ﷺ لم يكن يجهر بعداوة المشركين في مهد الدعوة رغم اتصاف النبي ﷺ بالبراءة التامة من الشرك وأهله، ومع ذلك فقد كان النبي ﷺ يداري المشركين فلا يستثير عداوتهم ولا يهيجهم على الإسلام والمسلمين، وإن كان في الوقت نفسه لا يداهنهم ولا يمالئهم على ما هم فيه من الشرك والباطل ممتثلا أمر الله تعالى له: ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**﴾[1]، فأمره بأن يكون هجره جميلا بحيث لا يستثير عداوة أعدائه.

فرغم الوضوح في الدعوة والمفاصلة التامة للمشركين ظهرت حكمة النبي ﷺ في عدم استثارة عداوة المشركين وغيرهم من أحزاب الكفر في مواضع عديدة كما سبق بيان ذلك[2].

---

(١) المزمل: ١٠، وفي تفسير الهجر الجميل، قال ابن كثير فيه: "هو الذي لا عتاب معه"، ومعنى ذلك أنه ليس فيه مؤاخذة لهم ولا مناقشة، ولا استثارة لحميتهم وعداوتهم، وذلك إذا ما تبين للداعي تمام صدهم عن دين الله تعالى، وعداوتهم لأتباعه بحيث لا تفلح معهم هداية، ولا تنفعهم مناقشة ولا مناظرة، ولا يجدي معهم أخذ ولا رد، وذلك كما قال تعالى ﴿**فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى**﴾ حيث دل بمفهومه على وجوب ترك التذكرة لهم إن لم ينفع التذكير والوعظ، والله تعالى أعلم.

(٢) راجع فصل معالم منهج الدعوة في ضوء الكتاب الكريم والسنة النبوية.

فكـــذلك ينبغي أن تتخذ الدعوة المعاصرة الأسوة في ذلك في واقعنا المعاصر فلا تهيج قـــوى الشر عليها، بل يكون لديها من الحكمة ما تعرف به ما تسر وما تجهر، وما تخفي وما تعلن، وما يصلح أن يتكلم به الآن، وما ينبغي أن يؤخر إلى حين.

ثانيا: التخطيط بين الفردية والجماعية:

قد تقتضي الدعوة شكلا من الأشكال السابقة:

أ-دعوة الفرد للفرد:

فقد يصادف الداعي شخصًا ما يطلب هدايته، أو يعرض عليه شبها تعرض له وتحول دون هدايته، وهذه الشبه قد تكون يسيرة، وقد تكون قوية قد استحكمت بهذا الشخص واستقرت لديه.

ففـــي مـــثل هذه الحالة لابد للداعي أن يدرس جيدًا حال هذا المدعو من حيث فكره وثقافته ونوع الشبه التي ألمت به، ومن حيث ميوله واتجاهاته النفسانية بحيث يتخير أقرب المـــداخل إلى قلـــبه وعقله، ويتخير الأسلوب وطريقة الحوار التي تناسبه من حيث التركيز على الناحية العقلية العلمية التأملية، أو القلبية الوجدانية العاطفية، ونحو ذلك.

ب-دعوة الفرد للجماعة:

على القائمين على الدعوة في هذه الحالة أن ينظروا في اختيار أفضل الأشكال المناسبة لدعـــوة هـــؤلاء الجماعة من حيث عددهم وثقافتهم وطبيعة الموضوع الذي تم التحدث بصدده ونحو ذلك.

١-الجلسة أو المحادثة:

فـــإذا كان العدد قليلاً بين الثلاثة ودون العشرة فالأمر "يحتاج لأكثر من جلسة يتخير لهـــا المكان المناسب ليأخذ الحوار شكل المحادثة الأخوية الهادئة بغية الوصول إلى الحق في موضـــوع ما يرجى دعوة هؤلاء الأشخاص إليه، أو لترغبهم في الإسلام والالتزام به على العموم وعرض محاسنه وبيان فضائله، ولكن لا يتحتم اختيار هذا الشكل (الجلسة) إلا إذا كان هناك موضوع خاص بهؤلاء الأشخاص.

٢-المحاضرة:

فإذا كان العدد أكثر من ذلك وكان الموضوع عاما فالأنسب لذلك أن تكون محاضرة، فالمحاضرة إنما تكون في الموضوعات العامة التي تخص المسلمين كافة، أو تخص قطاعا كبيرًا منهم، مثل قطاع طلاب الجامعة، أو قطاع التجاريين، أو المهنيين، أو الفلاحين أو الشباب أو النساء...إلخ.

٣-الخطبة:

ولها مواضع محددة، منها:

أ-خطبة الجمعة والعيدين حيث تكون فرضا لازمًا.

ب-المناسبات الحماسية الخاصة التي تحتاج إلى إلهاب مشاعر الجماهير وحثهم على أمر ما.

وتحتاج الخطبة إلى جمهور كبير أو قطاع معين من الناس يراد إثارته وتوجيهه لعمل خيري معين.

٤-الندوة:

المتعارف عليه أن الندوة اصطلاح لاجتماع جماعة من الناس في مكان ما للحديث حول موضوع معين، والإجابة على ما يثار حوله من تساؤلات.

وهذا الشكل من أشكال الدعوة يكون أكثر مناسبة حينما تكون هناك قضية ما تثير العديد من التساؤلات، أو تثور حولها الشكوك والشبهات، فيتم استضافة عالم أو أكثر في مكان ما (مدرسة- جامعة- قطاع عمال...إلخ) للحديث حول هذا الموضع والإجابة على تساؤلات الناس حوله.

وهذا الشكل مفيد جدًّا بالنسبة لقضايا الشباب وما يعتريهم من الشكوك والشبهات حول كثير من القضايا.

٥-المؤتمر:

يطلق هذا الاصطلاح على اجتماع عدد من العلماء والمشايخ والباحثين لكي يدلوا بآرائهم وأطروحاتهم وأبحاثهم حول موضوع من الموضوعات التي يثار حولها الجدل، وتحتاج الأمة إلى كلمة حاسمة فيها، يلتقي فيها العلماء أو جمهورهم على كلمة سواء،

وهـــذا الشكل له أهمية كبيرة لتصفية الخلافات بين علماء الإسلام ودعاتهم، ولكي تظهر كلمة الدعوة أكثر اتحادًا واتفاقًا فيكون لها قبول أكبر، حيث إن اختلاف العلماء والدعاة كثيرًا ما يكون سببًا من أسباب نفرة الكثير من العامة ومن يستفزهم الشيطان نحو الباطل فيـــتخذون مـــن اختلاف العلماء والدعاة ذريعة يحتجون بها عليهم ويدعون وقوعهم في الاضطراب والبلبلة فينصرفون عن العمل بسبب ذلك بزعمهم.

هـــذا فـــضلا عـــن أن اتحاد علماء المسلمين ودعاتهم ييئس أعداء الإسلام الحاقدين والمتربـــصين به من الطمع في إثارة الفتن والقلاقل والبلابل بين العامة والعمل على تفريق الصف.

ج-الدعوة الجماعية والعمل الجماعي:

مقدمات:

١-ينبغي التفريق أولا بين العمل الجماعي والعمل في جماعة؛ فالعمل الجماعي بشروطه وضوابطه التي سيأتي بيانها لا يمكن تركه أو الاستغناء عنه بحال ما بقي مسمان على ظهر الأرض، وذلك لأن من العمل الجماعي صورًا مفروضة على المسلمين يجب عليهم القيام بها جماعة كالصلاة والحج ومن ثم لا يمكن ترك العمل الجماعي أو القول ببطلانه؛ وذلك لأن الاجتماع على الأعمال الصالحة كالصلاة والحج والجهاد والتعلم، وتدبير شئون المسلمين، وإقامة فروض الكفايات اللازمة لدينهم ومعاشهم وغير ذلك من الأمور التي يلزم الاجتماع لإقامتها وإيجادها، إن لم يقم بها وليّ الأمر أو إن لم يكن للمسلمين وليٌّ يهتم بإقامة تلك الأمور.

أما العمل في جماعة من الجماعات الحالية الموسومة بالتعصب وتفريق أمر المسلمين، وكذلك كل عمل جماعي يتعصب له أتباعه ويجعلونه سببًا لتفريق الأمة فكل ذلك لا يجوز الانخراط فيه بل الواجب على المسلم هو اعتزال تلك الجماعات والأحزاب والفرق المتعصبة لأفكارها وآرائها والتي فرقت المسلمين وفرقت دينهم وجعلتهم شيعا وأحزابًا[1]، وقد نعى الله تعالى لنبيه ﷺ قوما فرقوا دينهم وكانوا شيعا وأخبر ببراءته ﷺ منهم تمام البراءة فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

٢-واقع الأمة الإسلامية اليوم أنها متفرقة فرقًا وأحزابًا وجماعات؛ منها ما كان سبب تفرقها الضلال والابتداع مثل الفرق القديمة (الروافض، الإباضية، الأشاعرة، الماتريدية.... إلخ)، ومنها ما سبب تفرقها التمسك بما يختلف عليه من الفروع، مثل ما يطلق عليه الجماعات الإسلامية وهي في الغالب سنية مثل (السلفية، الإخوان المسلمون، السلفية

---

(١) راجع في ذلك كتابنا: دراسات حول الجماعة والجماعات ط. مكتبة الصحابة- جدة، التابعين- القاهرة، حيث أطلت النفس في بيان بطلان الانضمام إلى شيء من تلك الجماعات الحالية بالأدلة الكثيرة المتضافرة.

الجهادية، التبليغ والدعوة، حزب التحرير..... إلخ).

٣-لا يجوز أن ينتقد حزب من الأحزاب أوتجتمع جماعة من الجماعات على عمل يؤثر في مصير الأمة غير مجمع عليه ولا اتفق على هذا العمل جمهورهم ولا سوادهم الأعظم؛ بل لا يجوز التحالف والتعاقد -إن جوزناه- إلا في المتفق على جوازه فقط لا في المختلف عليه، ومع ذلك فالواقع أن الأحزاب والجماعات انعقدت على المختلف عليه.

٤-إذن فالدخول في أي من هذه الجماعات ليس هو الصورة الصحيحة لالتزام جماعة المسلمين في معناها العضوي الواقعي، ولا تمثل أي من هذه الجماعات جماعة المسلمين ولا تقوم مقامها.

٥-أمامنا ثلاث طرائق للتعامل مع هذه الجماعات:

الأولى: نقضها وتفكيكها جميعًا لصالح إقامة جماعة المسلمين الواحدة (الأم) ويسبق ذلك اعتناق فكرة النقض هذه والمناداة بها والعمل على تحقيقها ومن ثم عدم الانخراط في أي منها واعتزالها جميعًا.

الثانية: النصح لها بالتخلي عما تخالف فيه (ما ليس محل إجماع من الأمة)، أو على الأقل عدم السعي لإلزام الناس به مع اعتراف كل جماعة بالأخريات والتواصل والتكافل بينها جميعًا، وعدم تحقير جماعة لما تقوم به أخرى من عمل خير وبر وجهاد وعلم يفيد الإسلام والمسلمين.

الثالثة: أن تبقى الحال كما هي عليه من قيام الجماعات واستقطاب كل جماعة من تستطيع من المسلمين إليها، وأن تتناحر فيما بينها وتتهم بعضها بعضًا وتحقر كل جماعة من أعمال الأخريات، وحينئذ تظل هذه المشكلة قائمة وتظل الجماعات حجر عثرة في سبيل قيام جماعة المسلمين الموحدة (الأم)، ولما كان هذا لا يجوز فإذن ليس من حل سوى أحد الاثنين الأولين.. تفكيك هذه الجماعات، أو التواصل والتكامل فيما بينها واعتراف كل واحدة بالأخريات، والآن وبعد أن فرقنا بين العمل الجماعي والعمل في جماعة نريد أن نلقي الضوء على أدلة مشروعية العمل الجماعي وشروطه وضوابطه كي لا يتحول إلى

الصورة المرفوضة التي عليها الجماعات الحالية.

أولاً: مشروعية العمل الجماعي:

سبق أن ذكرنا أن العمل من خلال الجماعات القائمة في الأمة المسلمة ليس هو الصورة المثلى التي ينبغي أن يكون عليها العمل للإسلام فهل ثمة صورة بديلة عن هذه الجماعات المتنافرة المتناحرة؟ وما حكم العمل الجماعي في وسط هذا الواقع الذي تغلب فيه الأهواء ويسوده التنازع؟

أولا: الأدلة على مشروعية العمل الجماعي:

١-حاجة الأمة الإسلامية للعمل والتعاون لإقامة الواجبات الجماعية التي فرض الله تعالى على الأمة القيام بها كالصلاة والحج والجهاد ونصب الأئمة والتعلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصناعات ونحوها من فروض الكفايات وغير ذلك.

٢-وجود نصوص شرعية من الكتاب والسنة تحث على العمل الجماعي منها على سبيل التمثيل لا الحصر، قوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾، وقوله ﷺ: "يد الله على الجماعة"، وغير ذلك الكثير من النصوص ومن مواقف السلف الصالح التي تدل على ضرورة الاجتماع وترك التفرق في العمل لدين الله تعالى.

ب-شبهات القاعدين وردها:

١-النصوص الدالة على العزلة كحديث أبي ثعلبة الخشني في تفسر قوله تعالى: ﴿**يأيها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾، قال ﷺ: "مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحًا مطاعًا وهوىً متبعًا، ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك والزم خاصتك وأهلك"، وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص: "تأخذون ما تعرفون وتدعون ما تنكرون وتقبلون على أمر خاصتكم وتدعون أمر عامتكم"، وحديث حذيفة: "فاعتزل تلك الفرق كلها"..

الرد: يقال للمستدل بهذه النصوص وأشباهها: هي حجة عليكم لا لكم؟ ألا ترى إلى قولهﷺ: "مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر" يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يستيقن المرء ألا مجيب له: فإن قيل هذه النصوص تشير إلى زمن يجوز فيه ترك الأمر والنهي. قلنا ليس هذا بزماننا. فلا نسلم بأن الإعراض والفساد قد أطبق الأرض،

وإنما هما في مكان دون مكان، فإن قلتم حدث ذلك في ديارنا قلنا وجب قبل ذلك بذل الجهد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للناس حتى إذا تأكدنا من وقوع الإعراض الذي يسوغ اعتزالهم اعتزلناهم.

-وزمان الغربة لا يعني ترك العمل الجماعي والتعاون على البر والتقوى لأمرين:

الأول: أننا وإن سلمنا بأننا قد صرنا إلى زمن الغربة التامة الذي يسود فيه "شح مطاع وهوى متبع ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه" وسلمنا بشيوع الإعراض وغلبة الفساد على العباد والبلاد، فإننا لا نُسلم بأن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو علة خيرية هذه الأمة لا نسلم أنه صار غير جائز وذلك لأمور:

أولاً: أن سقوط الوجوب لا يعني سقوط الأمر نفسه، بل يكون قد رفع الحرج فيه نظرًا لما يلاقي الداعي في هذا الزمان من عنت وشدة، إلا أنه يبقى بعد ذلك مشروعًا، بل يبقى فضيلة لصاحبه وشرفًا وذخرًا له في الآخرة، وجهادًا يتقرب به إلى الله لأنه إن كان سبب سقوط الوجوب عنه هو مظنة العنت والشدة وعدم الانتفاع بالذكرى، إن كان هذا هو السبب فنقول إن الشرع قد استحسن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضًا في هذه الحالة، وإن كان قد أسقط الوجوب رفعًا للحرج وذلك كما في حديث "سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله"[1]؛ فهذا يكون سيد الشهداء رغم أنه يغلب على ظنه أن سيؤذى أو يقتل وأنه لن يستجاب له، ومع ذلك فالبلاغ مستحب له إقامة لحجة الله على عباده.

ثانيًا: لا نسلم بأن وجوب البلاغ يسقط عن الكافة، بل إنه يبقى فرض كفاية على القادرين عليه إذا قام به البعض سقط عن الباقين، فإن لم يقم به أحد أثم جميعهم وذلك لتعين البلاغ على العالم به من الأمّة وإن لاقى في سبيله ما يلاقي فإن دين الله يُفتدى بالأنفس والمُهج وبالغالي والرخيص، ولذا أوجب الله القتال على الأمة وفيه إهلاك

---

(١) أخرجه الحاكم ١٩٥/٣ وغيره، وصححه الألباني في الصحيحة ح/٣٧٤.

الـــنفوس، فيجب الانتباه إلى أن جواز (السكوت عن قوة أهل الفجور وأذاهم للناهي إنما يقتـــصر علـــى العامـــة من المستضعفين، وأما الدعاة والقادة والعلماء فيأخذون بالعزيمة، ويصدعون بالحق وإن لحقهم الأذى والعذاب والموت، كما بينه ابن تيمية وكما بينه غيره. وكما كانت سيرة الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله– في أيام محنة خلق القرآن).

ثالثًا: إذا سلمنا بسقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن المسلم إزاء عامة الناس المعرضين عن دين الله تعالى علمًا وعملاً، فلا نسلم بسقوط ذلك عنه تجاه إخوانه وخاصته الملتزمين بدين الله تعالى علمًا وعملاً.

أما الأمر الثاني الذي لا يجوز لأجله سقوط العمل الجماعي في هذا الزمان فهو:

أنـــه على فرض شيوع الفساد والإعراض فلن تكون –مع ذلك– أنت المسلم الوحيد الملتـــزم بدين الله تعالى حينئذ بغير شح مطاع ولا هوى متبع ولا دنيا مؤثرة ولا إعجاب بـــرأيك، بـــل نقول إنك لابد أن تجد لك في هذا الزمان أشباهًا لك ونظراء في ذلك وإن كانوا قلة إلا أنهم هم خاصة ذلك الزمان الواجب عليك لزومهم والتعاون معهم على البر والتقوى في عمل جماعي مشروع لا يفرق أمر الأمة.

ألا تـــرى إلى قـــول النبي ﷺ: "والزم خاصتك" وذلك في حديث أبي ثعلبة الذي قد احتججت به على ترك العمل.

وألا تـــرى إلى قـــول النبي ﷺ في حديث عبدالله بن عمرو كذلك "تقبلون على أمر خاصتكم وتدعون أمر عامتكم".

فهـــا هو الحديث نفسه الذي قد احتججت به على ترك العمل الجماعي والتعاون مع إخوانك فيه، يأمرك فيه النبي ﷺ بأن تقبل على خاصتك فتلزمهم وتتعاون معهم على إقامة دين الله تعالى بلا عصبية ولا اختلاف مفرق، وقد جاءت صيغة التكليف خطابًا إلى جماعة المـــسلمين الذين برئوا من آفات هذا الزمان، وليس خطابًا لمسلم معتزل في شعف الجبال: (تقبلون وتأخذون وتدعون).

هكـــذا خطـــاب للجماعة مما يدل على بقاء العمل الجماعي إلى آخر الزمان، لأنه لا معنى للإقبال على الخاصة ولزومهم لزوم الأبدان للأبدان، فلم يكن إلا لزوم المنهج والعمل

والتعاون على كل ما هو بر وتقوى مما لا تفترق عليه الأمّة شيعًا.

-وهل يعني اعتزالك الفرق اعتزال الناس والطائفة المنصورة من الفرقة الناجية مع استمرارها؟.. "لا تزال"؟ وقوله: "طائفة" مما يدل على الاجتماع، وقوله: "ظاهرين" الذي لا يتحقق مع اعتزالهم الناس واعتزال الناس إياهم واعتزال بعضهم بعضًا.

٢-الشبهة الثانية:

كون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية يخطئ القاعدون في فهمه من وجوه:

أحدها: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض باتفاق، ولكن مختلف في ما إذا كان فرضًا على التعيين أو على الكفاية، وإذن ففرضية الكفاية ليست مطلقة ثم إن فرض الكفاية لابد أن يتعين أحيانًا كثيرة.

الثاني: مع التسليم بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية وهي حجة القاعدين فشرط الخروج من عهدة الفرض الكفائي حصول الكفاية بمن يقوم به ولما كانت الكفاية غير حاصلة فيجب أن يقوم بهذا الواجب كل مسلم حسب قدرته"[1].

الثالث: أن الدعوة إلى الخير -وأعلاها الدعوة إلى الله- واجبة على كل مسلم بقدر استطاعته... قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[2].

٣- الشبهة الثالثة: أن الدعوة مختصة بالعلماء دون غيرهم: (ولاشك أن الدعوة إلى الخير وأعلاها: الدعوة إلى الله، مشروط لها العلم، ولكن العلم ليس شيئًا واحدًا لا يتجزأ ولا يتبعض، وإنما هو بطبيعته يتجزأ ويتبعض، فمن علم مسألة وجهل أخرى فهو عالم بالأولى جاهل بالثانية، ومعنى ذلك أنه يعد من جملة العلماء بالمسألة الأولى، وبالتالي يتوفر

---

(١) عبدالكريم زيدان: "أصول الدعوة" ص(٢٧٥)، دار الوفاء ط. ١٩٨٧م، مصر.

(٢) يوسف:١٠٨.

فيه شرط وجوب الدعوة إلى ما علم دون ما جهل، ولا خلاف بين الفقهاء أن من جهل شيئًا أو جهل حكمه أنه لا يدعو إليه، لأن العلم بصحة ما يدعو إلى الله بالقدر الذي يعلمه كما سنبينه فيما بعد، ويكون هذا المعنى هو المقصود من قولهم إن الدعوة تجب على العلماء لا على غيرهم. أي على من يعلم المسألة وحكمها التي يدعو إليها، سواء كان من عامة المسلمين أو ممن نال حظًا كبيرًا من العلم. وبهذا يظهر فساد قول من قال: إن المقصود بالعلماء هم الذين نالوا حظًا كبيرًا من العلم دون سواهم، وقد يسموهم برجال الدين، لأن هذه التسمية تصدق على كل مسلم، فهو من رجال الإسلام، وليست مقصورة على فئة منهم)[1].

ثانيًا: أصول وشروط العمل الجماعي:

أولا: أن يكون المجتمعون على منهاج النبوة لا غير على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في العقيدة والمنهج والخلق والعمل جميعًا (وأن يلزموا ما أجمع عليه المجتهدون من أهل السنة والجماعة).

ثانيا: أن يكون العمل في كافة صوره مع خاصة تجردت من آفات أهل هذا الزمان من شح مطاع وهوى متبع ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه.. وغير ذلك، والتي من شأنها أن تعوق العمل الجماعي أو تحول دون ثمرته.

لذا فقد وجب أن يكون العمل مع خاصة تتصف بالبراءة من آفات العاملين في هذا الزمان وتتصف بأضداد هذه الآفات من كريم الخلال والصفات لذا يجب التحقق من وجود صفات معينة في الأشخاص الذين يتم اختيارهم للعمل معهم، وهذه الصفات هي:

١-تحقق صفة الانتساب إلى جماعة المسلمين بالالتزام بدين الله تعالى علما وعملاً.

٢-عدم التعصب لحزب أو جماعة أو شيخ أو رأي أو عمل يفارق فيه جماعة المسلمين فإن ذلك كله دعوى الجاهلية[2].

---

(١) السابق ص(٢٧٤).

(٢) انظر كلام ابن القيم في ذلك ضمن: حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية: بكر بن عبدالله أبو زيد، ط. دار ابن الجوزي بالمملكة العربية السعودية.

٣-أن يتصف بعكس ما غلب على الناس من الشح المطاع وإيثار الدنيا، فيتصف ببذل النفس والمال لدين الله تعالى، والتضحية في سبيله بكل غال ورخيص، وإيثار دين الله تعالى على نفسه وولده وأهله وعشيرته وتجارته ووطنه وطيب عيشه..إلخ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾[1]، وذلك لأن العمل لدين الله تعالى جهاد والجهاد قائم على التضحية والإيثار، فإذا اعتمدنا في العمل على شحيح بنفسه يؤثر دنياه على آخرته فإنه سرعان ما يخذل إخوانه في المهمات ولا يصبر في المحن والملمات فيعرض إخوانه للفشل أو الهلاك.

٤-أن يتصف بعكس ما اتصف به غالب الناس في هذا الزمان من اتباع الهوى وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فيعرف باتباع الحق وإيثاره، والانقياد للشرع وعدم التعصب لرأيه أو عقله أو هواه، غير مفرق لكلمة المسلمين ولا مفارق لجماعتهم، وإلا فإن كان ممن يتبع هواه ويعجب برأيه فإنه سرعان ما يفارق إخوانه عند أول أمر يختلفون عليه، فيفتح بذلك باب الفرقة والشقاق ويهدم صرح الاجتماع والوفاق.

٥-أن يتصف بصفة هامة، وهي محصلة ما سبق من الصفات، وهي هضم نفسه والحط من ذاته والتواضع لإخوانه والذلة لهم، فإن هذه هي صفة القوم الذين يستبدل الله تعالى بهم، ويختارهم لنصرة دينه، قال تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

٦-أن يتصف بعكس ما شاع في غالب أهل هذا الزمان من مرج العهود والأمانات فيتصف بأضداد ذلك من حفظ العهد ورعاية الأمانة، وإلا فكيف نأمن على أمرنا ممن لا يحفظ عهدًا ولا يرعى أمانة، فهذا إلى العصيان والتمرد والخذلان أقرب منه إلى الطاعة والانقياد والنصرة.

٧-أن يكون ربانيا له حظ ونصيب من عبادة وزهد وزكاة نفس وورع منضبط

---

(١) التوبة: ٢٤.

(٢) المائدة: ٥٤.

متشرعًا بدين الله تعالى ملتزمًا لأوامره، مجتنبًا لنواهيه، مجاهدًا لنفسه وشهواته.

٨-أن يعرف بخلال المروءة وخصالها من الجرأة والشجاعة والنجدة والنصرة لإخوانه والثبات في الحق والصبر في جهاد الأعداء؛ وذلك لأن الجبان المتخاذل لا يصلح أن يعتمد عليه في عمل قد يعرض فيه إخوانه للخطر بسبب تخاذله وقلة ثباته في الحق، وذلك لأن الدعوة إلى الله تعالى جهاد في سبيله، والجهاد بحاجة إلى الجريء الشجاع.

٩-أن يكون عاقلا ناضجًا ليس غرًا ولا طائشًا ولا مغفلا لأن من لم يكن كذلك، كانت مضرته ومفسدته أكثر من نفعه وكان مضرًا لإخوانه وقد يكون سببًا في هلاكهم.

١٠-أن يكون حكيمًا حليمًا له حسن مداخلة في الأمور، فإن هذه الصفة رأس مال الدعوة حيث قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1].

فهذه أهم الصفات التي وجدها في كتاب الله وسنة رسوله وكلام أهل العلم والدعوة مما ينبغي مراعاتها فيمن يختار للعمل معه لنصرة دين الله تعالى وإقامته.

ثالثًا: ألا يكون اجتماعهم على أصول أو أفكار أو مبادئ أو رأي أو اجتهاد أو عمل يفارقون به جماعة المسلمين ويخالفون به سوادهم الأعظم من أهل الحل والعقد، سواء كان ذلك في المنهج والاعتقاد أو كان ذلك في الرأي والحرب والمشورة، (لذا فهم لا يقدمون على عمل شيء قبل عرضه على أهل الحل والعقد والتأكد من اجتماعهم أو اتفاق جمهورهم عليه).

رابعًا: أن يجتمعوا على أنهم مجموعة من المجموعات العاملة لدين الله تحت جماعة المسلمين العامة وليسوا هم وحدهم جماعة المسلمين، لذا فهم لا ينكرون على الخارج عنهم فلا يكفرونه ولا يأثمونه، لأنهم لا يرون مجموعتهم لازمة لأفرادها ولا لغيرهم من المسلمين.

---

(١) النحل: ١٢٥.

خامسًا: ألا يجعلوا لأفراد العمل تميزًا عن غيرهم ممن ليس في هذا العمل، بحيث لا يكون للحليف منزلة أعلى من غير الحليف من جهة المحبة والولاء والنصرة.

بحيث لا يكون للحليف منزلة أعلى من غير الحليف من جهة المحبة والولاء والنصرة.

فلا منازعة في أن البيعة التي يعقد أصحابها الولاء والبراء على أساسها فيكفرون من عداهم أو يبدعونه، ويفرقون بها كلمة الأمة بيعة مردودة باطلة باعتبار ما أفضت إليه من هذه المفاسد، وقد تقرر في الأصول أن للذرائع حكم المقاصد حلا وحرمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهدًا بموافقته على كل ما يريده؛ وموالاة من يواليه؛ ومعادة من يعاديه؛ بل من فعل هذا كان من جنس جنكيز خان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقًا وليا، ومن خالفهم عدوًا باغيا؛ بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله؛ ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله؛ ويحرموا ما حرم الله ورسوله؛ ويرعوا حقوق المعلمين كما أمر الله ورسوله)[1].

سادسًا: ألا يتعصبوا لشيخهم أو لجماعتهم أو لأعمالهم التي يعملونها بل لا يبالون أن يعمل المسلم عملا جماعيا مع أي فريق من إخوانه الراشدين ممن لزموا ما عليه جمهور الأمة و لم يفرقوا كلمتها.

وعليهم ألا يتعصبوا لآرائهم بأن يستمعوا لآراء المخالفين لهم بغرض الوصول إلى الحق والاجتماع عليه، فإن اجتمعت الكلمة فيها ونعمت، وإلا فليدعوا ما اختلفوا فيه، وليقفوا عند ما اجتمعت عليه كلمتهم.

هذا وقد بلغت آثار هذا الداء –داء التعصب– في الجماعات الحالية اليوم مبلغًا خطيرًا فالناظر إلى أحوال كثير من المسلمين اليوم يرى كيف يستبيح الواحد لنفسه أن يشهد بالزور ويستحل الظلم في حق من يخالفه الرأي وهو من أهل دينه وملته، ويشهد بالباطل

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، ط. دار الرحمة للنشر والتوزيع، بالقاهرة.

حمـــية لمن يحبه، وهذا المرض للأسف منتشر بين كثير من منتسبي الجماعات الإسلامية فإنه يحملـــهم التعصب لجماعاتهم على المحاباة لها، والشهادة لها بالزور واستحلال الكذب على الجماعـــات المنافـــسة أو المخالفة، ونادرًا ما تجد من يشهد بالحق، وهذا من الأمور التي زهـــدت كـــثيرًا من الناس في الانضمام إلى جماعات الدعوة، واتخذها بعض الكُتَّاب دليلا على تحريم العمل الجماعي)[1].

سابعًا-ألا ينكروا ما مع غيرهم من الحق والعمل المشروع، ولا ينكروا فضلهم وما يقدمـــونه للأمـــة، مـــن خير، بل يثنون على المحسن في إحسانه، وينصحون للمسيء في إســـاءته، ولا يمـــنعون من مشاركة غيرهم في أعمالهم المتفق عليها بين الأمة، ما أمكنهم ذلك.

وهـــذا أمـــر طبيعي ونتيجة طبيعية لترك التعصب لعمل بعينه، بل إن التعصب لصورة معيـــنة مـــن صور العمل حتى تغلب على صاحبها ويعرف بها مع تقصيره فيما عداها من صور العبودية يعد آفة من آفات العبودية كما بينه ابن القيم -رحمه الله، وسيأتي كلامه في الـــنقطة المقـــبلة- كمـــا أن هذه الصورة المقيتة من صور التعصب الداعية لإنكار ما مع الآخرين من الحق، هو من سمات الفرق الضالة من أهل الكتابين من قبلنا، وقد استفاضت النـــصوص بالنهي عن مشابهتهم، وقد كان ذلك بسبب هلاكهم، لأنه كان سببًا لسخط الله تعالى عليهم ولعنه إياهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بعد ذكره للآيات والأحاديـــث الناهـــية عن مشابهة أهل الكتاب فيما كانوا عليه من التفرق والاختلاف: (روى الـــترال بن سُبرة عن عبدالله بن مسعود قال: سمعن رجلا قرأ آية؛ سمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى النبي ﷺ، فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهية، قوال: "كلاكما محسن، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا" رواه مسلم.

نهى النبي ﷺ عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من

---

(١) أصول العمل الإسلامي- عبدالرحمن عبدالخالق- (ص٢١).

الحـــق؛ لأن كـــلا القارئين كان محسنًا فيما قرأه، وعلل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا)[1].

أمـــا من تقدم واجتهد في عبادة من العبادات مع تحقيق الحد الأدنى من سائر العبادات الـــتي كلفه الله تعالى بها مع عدم إنكاره على مخالفه في عبادة مشروعة أو عمل مشروع، فهـــذا لا يـــلام وإنما اللوم على من غلبت عليه عبادة أو عمل ما مع تقصيره في غيره من الواجبات التي كلفه الله تعالى بها حتى يعرف بتلك العبادة وحدها التي برع فيها أو يعرف بـــذلك العمـــل وحده مع تقصيره في غيره، والحق أن المسلم الذي يلتزم بالدين من جميع جوانـــبه يكون حاله في ذلك مشابهًا لحال سلفه الصالح مع مخالفيهم، فيصبح (على حالة تشبه حالة الإمام الشهير عبدالرحمن بن بطة الحافظ مع أهل زمانه حيث يقول عن حاله في رحلاتـــه الكـــثيرة: أكثر من لقيت بها موافقًا أو مخالفًا، دعاني إلى متابعته على ما يقوله، وتـــصديق قوله والشهادة له، فإن كنت صدقته فيما يقول وأجزت له ذلك —كما يفعله أهـــل هذا الزمان- سماني موافقًا وإن وقفت في حرف من قوله أو في شيء من فعله سماني مخالفًـــا، وإن ذكرت في واحد منها أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك وارد، سماني خارجيا، وإن قرأت عليه حديثًا في التوحيد سماني مُشبها، وإن كان في الرؤية سماني سالميا، وإن كان في الإيمـــان ســـماني مرجئيا، وإن كان في الأعمال، سماني قدريا، وإن كان في المعرفة سماني كـــراميا، وإن كـــان في فـــضائل أبي بكر وعمر، سماني ناصبيا، وإن كان في فضائل أهل البـــيت، ســـماني رافضيا، وإن سكت عن تفسير آية أو حديث فلم أجب فيهما إلا بهما، سماني ظاهريا، وإن أجبت بغيرهما، سماني باطنيا.

وإن أجـــبت بتأويل، سماني أشعريا، وإن جحدتهما، سماني معتزليا، وإن كان في السنن مـــثل القـــراءة، ســـماني شفعويا، وإن كان في القنوت -يريد القنوت في الوتر دائمًا، أما القنوت في صلاة الصبح، فالشافعية هم الذين يلتزمونه- سماني حنفيا، وإن كان في القرآن، ســـماني حنبلـــيا، وإن ذكـــرت رجحان ما ذهب كل واحد إليه من الأخبار —إذ ليس في

---

(١) شيخ الإسلام: اقتضاء الصراط المستقيم- (ص٣٠ ط دار التراث).

الحكم والحديث محاباة –قالوا: طعن في تزكيتهم...، ثم أعجب من ذلك أنه يسمونني فيما يقرءون علي من أحاديث رسول الله ﷺ ما يشتهون من هذه الأسامي؛ ومهما وافقت بعضهم عاداني غيره، وإن داهنت جماعتهم أسخطت الله تبارك وتعالى، ولن يغنوا عني من الله شيئًا. وإن مستمسك بالكتاب والسنة وأستغفر الله الذي لا إله إلا الله وهو الغفور الرحيم).

قال الشاطبي: (هذا تمام الحكاية فكأنه –رحمه الله- تكلم على لسان الجميع. فقلما تجد عالمًا مشهورًا أو فاضلا مذكورًا، إلا وقد نبذ بهذه الأمور أو بعضها، لأن الهوى قد يداخل المخالف، بل سبب الخروج عن السنة الجهل بها، والهوى المتبع الغالب على أهل الخلاف، فإذا كان كذلك حمل على صاحب السنة أنه غير صاحبها، ورجع بالتشنيع عليه والتقبيح لقوله وفعله، حتى ينسب هذه المناسب)

ثامنًا–ألا يتميزوا عن جماعة المسلمين العامة باسم أو رسم أو شعار ما لم يكن ذلك على سبيل التناسق والتعاون والتآلف والتعاضد، ولا يكون ذلك إلا باجتماع كلمة هذه المجموعات والجماعات على متبوع مطاع يوزع عليها أعمالها ويؤلف بينها، فيكون التميز لتقسيم الأعمال والأدوار، فيعرف كل فريق يعمل لا يعارض به غيره، بحيث يكون اختلاف الاسم والشعار دالا على اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد.

وفي هذه النقطة والتي قبلها يقول ابن القيم –رحمه الله- في علامات أهل العبودية: العلامة الثانية قوله: (ولم ينسبوا إلى اسم) لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلامًا لأهل الطريق.

وأيضًا فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال. فإن هذه آفة يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها. فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها. فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم. فلا يتقيد برسم ولا إشارة، ولا اسم ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي. بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول. وعن طريقه قال: الاتباع. وعن خرقته؟ قال: لباس التقوى. وعن مذهبه؟ قال: تحكيم السنة. وعن مقصده ومطلبه؟ قال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ وعن

رباطـــه وعن خانكاه؟ قال ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِـيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ(٣٦) رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾[1] وعن نسبه؟ قال:

أبـــي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخـــروا بقيس أو تميم

يقـــول الـــشيخ بكر أبو زيد –حفظه الله: (وهذه الفرق: العقدية، والسلوكية، والسياسية تـــساقطت أمام (جماعة المسلمين): أهل السنة والجماعة، الذين درجوا على منهاج النبوة، و لم ينفصلوا عنها ولا لحظة زمنية واحدة لا باسم ولا برسم، فليس لهم شخص ينتمون إليه سوى (الـــنبي ﷺ) ومـــن قفى أثره. وليس لهم رسم ومنهاج سوى: منهاج النبوة (الكتاب والسنة) ولـــيس لهـــم جماعة من المسلمين بل (جماعتهم المسلمون) إذ الأصل لا يحتاج إلى سمة خاصة تميـــزه، إنما الذي يحتاج إلى اسم معين هو الخارج عن هذا الأصل، ومن تلكم الجماعات التي انشقت من الأصل (جماعة المسلمين). وفي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد وغيره أنه ﷺ قـــال: "ومـــن دعا بدعوة الجاهلية فهو من جثاء جهنم، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم فادعـــوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين عباد الله" فهم بحق يمثلون الامتداد الطبيعي للإسلام في مجمـــوعة وصفائه، وللمسلمين في اجتماعهم وائتلافهم. ولهذا لما جاء رجل إلى الإمام مالك –رحمـــه الله تعالى- فقال: يا أبا عبدالله أسألك عن مسألة أجعلك حجة فيما بيني وبين الله – عـــز وجـــل-، قال مالك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، سل: قال: من أهل السنة؟؟ قال: أهل الـــسنة الـــذين لـــيس لهـــم لقب يعرفون به لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي. رواه ابن عبدالبر)[2].

وقـــال شـــيخ الإســـلام ابـــن تيمية –رحمه الله تعالى: (وكذلك التفريق بين الأمـــة وامتحـــانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله، مثل أن يقال للرجل: أنت شكيلي. أو قرقندي. فـــإن هـــذه أسمـــاء باطلـــة مـــا أنزل الله بها من سلطان، وليس في كتاب الله ولا سنة

---

(١) النور:٣٦-٣٧

(٢) الانتقاء لابن عبدالبر (ص٣٥) نقلا عن حكم الانتماء.

رسـولهﷺ، ولا في الآثـار المعروفة عن سلف الأمة لا شكيلي ولا قرقندي. والواجب علـى المـسلم إذا سئل عن ذلك أن يقول: لا أنا شكيلي ولا قرقندي، بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله.

وقـد روينا عن معاوية بن أبي سفيان: أنه سأل عبدالله بن عباس –رضي الله عنهما: (أنـت على ملة علي، أو ملة عثمان؟ فقال: لست على ملة علي ولا على ملة عثمان، بل أنـا على ملة رسول اللهﷺ)، وكذلك كان كل من السلف يقولون: كل هذه الأهواء في الـنار، ويقـول أحدهم: ما أبالي أي النعمتين أعظم؟ على أن هداني الله للإسلام، أو أن جنـبني هذه الأهواء؟ والله تعالى قد سمانا في القرآن: المسلمين المؤمنين عباد الله، فلا نعدل عن الأسماء التي سمانا الله بها إلى أسماء أحدثها قوم –وسموها هم وآباؤهم- ما أنزل الله بها من سلطان.

فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها، ولا يوالي بهذه الأسماء ولا يعادي عليها، بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان)[1].

يقـول الشيخ بكر أبو زيد: وقد كان المسلمون، وهم (الصحابة –رضي الله عنهم) قـبل بـزوغ بـذرة التفرق والانشقاق ليس لهم اسم يتميزون به لأنهم كما ذكر يمثلون الإسلام، والامتداد الطبيعي له، لكن لما حصلت تلك الفرق الضالة التي يشملها لفظ (أهل الأهـواء) لغلبة اتباع الهوى عليهم، ولفظ (أهل البدع) لاتباعهم ما هو خارج عن الدين أجـنبي عـنه، و(أهل الشبهات) لأنهم يلبسون الحق بالباطل فيشبهون به على العامة، لما حـصلت تلك الفرق، منتسبة إلى الإسلام منشقة عن العمود الفقري للمسلمين، ظهرت ألقـابهم الشرعية المميزة لجماعة المسلمين، لنفي الفرق والأهواء عنهم، سواء ما كان من الأسماء ثابتًا لهم بأصل الشرع:

-الجماعة

-جماعة المسلمين

-الفرقة الناجية

---

(١) الوصية الكبرى- (ص١١١)، والفتاوى- (٣/٤١٥).

-الطائفة المنصورة

أو بواسطة التزامهم بالسنن أمام أهل البدع، ولهذا حصل الربط لهم بالصدر الأول فقيل لهم:

-السلف -أهل الحديث

-أهل الأثر -أهل السنة والجماعة

وهذه الألقاب الشريفة، تخالف أي لقب كان لأي فرقة كانت من وجوه:

الأول: أنها نسب لم تنفصل ولا لحظة واحدة عن الأمة الإسلامية منذ تكونها على منهاج النبوة فهي تحوي جميع المسلمين على طريقة الرعيل الأول.

الثاني: أنها تحوي كل الإسلام (الكتاب والسنة) فهي لم تختص برسم يخالف الكتاب والسنة زيادة أو نقصًا.

الثالث: أنها ألقاب منها ما هو ثابت بالسنة الصحيحة ومنها ما لم يبرز إلا في مواجهة مناهج أهل الأهواء، والفرق الضالة لرد بدعتهم، والتميز عنهم، وإبعاد الخلطة بهم، ولمنابذتهم فلما ظهرت البدعة تميزوا بالسنة ولما حكم الرأي تميزوا بالحديث والأثر، ولما فشت البدع والأهواء في الخلوف تميزوا بهدي السلف، وهكذا..

ومن الملاحظ أنه لو كانت الأمة في قالب الإسلام الصحيح خالية من البدع والأهواء كما كان الصدر الأول ومقدمة السلف الصالح لغابت هذه الألقاب المميزة لعدم وجود المناهض لها.

الرابع: أن عقد الولاء والبراء، والموالاة والمعاداة لديهم هو: على الإسلام لا غير، لا على رسم باسم معين، ولا على رسم محدد، إنما هو (الكتاب والسنة) فحسب.

الخامس: أن هذه الألقاب لم تكن داعية لهم للتعصب لشخص دون رسول الله ﷺ.

السادس: أن هذه الألقاب لا تفضي إلى بدعة ولا معصية، ولا عصبية لشخص معين ولا لطائفة معينة فإذا قيل: (أهل السنة والجماعة) انتظم هذا اللقب هذه الخواص وهذا لا يكون لأحد من أهل الفرق بأسمائهم ورسومهم التي انشقوا بها عن جماعة المسلمين)[1].

---

(١) بكر أبو زيد: حكم الانتماء- من (ص٣٠: ٣٥) بتصرف واختصار.

وهنا يأتي سؤالان:

الأول: هو أن بعض الفرق لم تسم نفسها بل سماها الناس؟

والثاني: هو أنه من الممكن أن تطلق بعض الأسماء على من يعتقد أنهم على منهج أهل السنة؟...

ونجيب على هذين السؤالين فنقول: اعلم أنه ليس شرطًا أن تسمى فرقة من الفرق نفسها باسم أو تسم نفسها برسم يخالف اسم ورسم أهل السنة والجماعة بل أحيانًا قد يطلق الناس عليهم ذلك الاسم لأنهم تقيدوا بعمل واحد اهتموا به وجعلوه دينهم فكان هذا منهم خطأ في المنهج أدى إلى أنهم تسموا بهذا الاسم ونسبوا إلى هذا الاسم وإن لم يكونوا هم الذين سموا أنفسهم بذلك.

وعن السؤال الثاني نقول: اعلم أنه حينما ينسب أحد ممن هم على منهاج السنة إلى اسم أو رسم يخالف اسمهم ورسمهم فإن الناس لا يستطيعون أن يسموهم أو ينسبوهم إلى اسم واحد بعينه أو مذهب أو فرقة، أو رسم وذلك لأنهم لم يتقيدوا في عملهم بجزئية أو عمل واحد بل دخلوا في الإسلام كافة و لم يزيدوا و لم ينقصوا، فلو نسبوا فلسوف ينسبون إلى الجهاد – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- الزهد- العبادة والواقع- الفقه- العقيدة والعلم إلى غير ذلك من فروع الدين وأصوله. ولقد ختم الشاطبي كلام عبدالرحمن بن بطة قائلا: فكأنه –رحمه الله- تكلم على لسان الجميع، فقلما تجد عالًا مشهورًا وفاضلا مذكورًا إلا وقد تسمى بهذه الأمور أ، بعضها لأن الهوى قد يداخل المخالف، وقد سبق نقل كلام الإمام الشهير عبدالرحمن بن بطة وحكايته مع مخالفيه وموافقيه.

تاسعًا: أن يفرق بين الاجتماع على هذا العمل والطاعة للقائم عليه، وبين الاجتماع والطاعة للإمام الأعظم إمام المسلمين أو ولي أمرهم، وذلك حتى لا تختلط الأمور، فعليهم دائمًا أن يعلموا أنهم في عمل جزئي والطاعة فيه مقيدة بحدود هذا الأمر بالشروط السابق بيانها، والله تعالى أعلم.

٣-الدعوة بين التدرج والتسرع:

أ-التوفيق بين كمال الشريعة والتدرج في التبليغ:

سبق أن عرضنا لحكمة الدعوة في التدرج في تبليغ الأحكام والتكاليف في عصر النبوة، وهذا لا إشكال فيه من جهة أن التشريع في ذلك الوقت لم يكن قد كمل بعد، وأنه كان يـــترل شـــيئًا فشيئًا. أما الآن وقد كملت الشريعة وتم الدين فتثور شبهة أمام الدعوة إلى الـــتدرج، وهي أن الشريعة قد كملت فلا يسعنا أن ننتقص شيئًا منها، ولا أن نكتم شيئًا منها.

ب-الدعوة إلى التدرج من منطلق الحكمة:

والحقيقة أن تصوير الأمور بهذا الشكل هو تصوير خاطئ أو قاصر، وذلك أن الأمر لا يتعدى العمل بمقتضى الحكمة، وذلك لأن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه.

ج-التدرج لا يعني كتمان الدين:

والأمـــر لم يعد ذلك إلى النقص والكتمان، فتأخير التبليغ لأمر أو إرجائه لتبليغه وبيانه في الـــوقت المناسب الذي يكون أكثر تحقيقًا للمصلحة الدينية، وأكثر درءًا للمفسدة كل ذلك تصرف بمقتضى الحكمة ولا يعني انتقاص الشريعة أو كتمانها.

فـــشتان بين من ينطلق من منطلق الإيمان بهذه الشريعة الحريص على ألا ترفض وألا يعـــرض عـــنها في وقت لا يكون المدعو مؤهلا لفهمها أو للعمل بها، وبين من ينطلق من منطلق الكفر بهذه الشريعة وانتقاصها والإعراض عنها وكتمان تبليغها.

ومـــن ثم فإن التدرج في عرض الأحكام والتكاليف وأخذ الناس بها أمر شرعي، وقد فعلـــه النبي ﷺ نفسه بعد كمال التشريع حيث قبل معاهدة قوم على الإسلام شريطة ألا يجاهدوا وألا يتصدقوا فقبل ذلك منهم في حينه، وقال إنهم سيجاهدون وسيتصدقون.

فقبل ألا يلزمهم بالدين كله في ذلك الوقت، وقبل أن يتدرج بهم في الإلزام بالأحكام والتكاليف، ولم يعد ذلك كتمانًا للدين ولا إقرارًا بالنقص منه، لأنه بين أنه حينما يستقر الإيمان في قلوبهم سيدفعهم للأخذ بالدين بكماله.

د-لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة:

ومع ذلك نقرر أنه لا يسع الداعي أن يؤخر البيان عن وقت الحاجة إلا في حالات الإكراه كما قال الله تعالى: ﴿إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[1].

ولكن شتان بين البيان وبين إلزام المدعو والاشتداد عليه بتكاليف لا يرتقي إيمانه لأدائها، فلابد من الرفق به، وحسن التلطف معه حتى يتم اقتناعه بالأمر أو تحين له الفرصة المواتية للتنفيذ، وعلى الداعي إذا وجد أن إيمان المدعو لا يرتقي إلى قبول بعض التكاليف أن ينشغل بدعوة هذا الشخص إلى ما يقوي إيمانه ويرتقي به بدلا من الإلحاح عليه فيما يضعف عن تحمله في الوقت الراهن.

هـ- التدرج في الفروع لا الأصول:

ومما ينبغي التنبيه عليه كذلك أن التدرج في الدعوة ينبغي أن يكون في الفروع لا الأصول، فأصل الدين وهو عبادة الله تعالى وعدم الإشراك به والإسلام لله تعالى لا تجزئة فيه، لقول الله تعالى: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[2] وقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا﴾[4].

فأصل الدين إذًا لا يقبل فيه التدرج ولا التجزئ ولا يتصور فيه، ولكن المقصود بالتدرج في التكليف إنما هو في الفروع والتكاليف لا غير.

و-خطر الاستعجال في الدعوة إلى الفروع:

ومما يلاحظ أن بعض الاتجاهات الدعوية المعاصرة قد تتسرع في الدعوة إلى فروع

---

(١) النحل:١٠٦.

(٢) البقرة:٢٠٨.

(٣) البقرة:٨٥.

(٤) النساء:١٥٠.

الدين وبعض مظاهره المميزة لأتباعه قبل أن يتم صقل المدعو وتهذيبه وتربيته التربية الإيمانية الكافية.

ويحدث من جراء ذلك أضرار عديدة منها:

١-اغترار الشخص بما جد عليه من مظاهر الدين وإحساسه بالتميز بما يؤدي إلى استعلائه على الآخرين.

٢-تشويه صورة الإسلام نتيجة لما يقع فيه من الأخطاء والمعاصي التي لم يستطع التخلص منها.

٣-الوقوع في الفهم الخاطئ لكثير من القضايا.

٤-الردة عن الالتزام والإحساس بصعوبة التكاليف لأنه لم يهيأ لها التهيؤ الكافي.

ز-الدعوة إلى الأهم فالأهم:

ومن ثم تبرز هنا أهمية الدعوة إلى الأهم فالأهم على نحو ما بينا في الحديث عن منهج التزكية فيتم البدء بدعوة الشخص إلى أصل الدين وهو التوحيد الصحيح والعبادة الصحيحة، ثم يدعا بعد إلى ما يرقق قلبه، ويقوي إيمانه، ويزيد تقواه لله تعالى من القرآن والسنة وقصص الصالحين وأخبار اليوم الآخر، مع الدعوة إلى ما يهذب أخلاقه ويؤدبه بآداب الإسلام في التعامل مع الناس.

ح-مقياس الأهمية لنصوص الشريعة:

وليكن المقياس في ترتيب الأمور من حيث الأهمية هو نصوص الشريعة، فيعظم ما عظمه الله تعالى تصديقًا لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ**﴾[2].

---

(١) الحج:٣٢.

(٢) الحج:٣٠.

رابعًا: الدعوة بين الإجمال والتفصيل:

ففي العصر الحديث وفي الواقع المعاصر اليوم ظهرت العديد من القضايا والتحديات للإسلام وأهله، لعل من أخطرها قضية العولمة بمختلف أبعادها لاسيما البعد الفكري والثقافي بينما انحسرت كثير من القضايا التي كانت سائدة في العصور السابقة والتي شكلت ملامح الدعوة الإسلامية في عصور طويلة، وذلك مثل قضية خلق القرآن، ونفي الصفات، وإثبات العلو... إلخ.

وإن كنا لا ننكر أن معرفة الحق في مثل هذه القضايا واجب ولكننا نقول في الوقت نفسه: إن هذه القضايا لا يمكن أن توصف بأنها قضايا العصر أو أن تمثل موضوع الدعوة ومقاصدها في واقعنا المعاصر.

فلم يعد في كثير من ربوع المسلمين من يثير الشبهات في كثير من هذه القضايا، وإن وجد من يعتقد فيها خلاف معتقد أهل السنة فهو إما خامل في دعوته أو مستكن بها، أو يعتقدها عن جهل لعقيدة أهل الحق دون أن يتخذها قضية يعيش لها ويدافع لأجلها.

وعلى كل فقد ألم بالمسلمين من البدع والمحدثات والتحديات لهم في دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وآدابهم ما يكاد يعصف بهذا الدين لولا حفظ الله تعالى له.

فقد شاع في عرف الناس واعتقادهم أن التحاكم إلى القوانين الوضعية والأحكام العرفية في معاملاتهم وأمور دنياهم لا يخالف التوحيد ولا إفراد الله تعالى بالعبودية، ولا يتعارض مع إقامة النسك لله تعالى من الصلاة والصيام والزكاة والحج ونحو ذلك، مما يعد تأثرًا مباشرًا بالنزعة العلمانية العالمية، كذلك شاع فيهم الانصياع والتبعية لغير الكتاب والسنة وأخذ تشريعاتهم وشئون حياتهم من الغرب أو الشرق دون الشعور بأدنى غضاضة ولا نقص عليهم في دينهم، وذلك كله بتأثير حركة العولمة التي تم التخطيط لها من فترة كبيرة لإذابة المسلمين وإتباعهم للغرب أو للإمبراطورية الأمريكية على وجه الخصوص الآن، فضلاً عمن يحاول النهش في جسد الأمة والنيل منها من قريب أو من بعيد من غير المارد الأمريكي.

لقـــد أصبحت كثير من القضايا تفرض نفسها فرضًا على الواقع المعاصر ولا يستطيع الداعي أن يغمض عينه عنها مثل:

١-قـــضية الحكم بغير ما أنزل الله، وما جرته من الفتن والبلايا وانقسام الناس إزاءها فـــرق وأحـــزاب، ويشترك معها في الأهمية قضية دعاء غير الله تعالى واللجوء إليه ممثلا في عبادة القبور والأولياء تحت ستار التصوف الذي يقوم عليه أحزاب كبيرة تجد من النصرة والتأيـــيد من أعداء الإسلام من الداخل والخارج ما يحاولون به عرقلة النمو الواضح الهائل لفصائل الصحوة الإسلامية.

٢-قـــضية العولمة والتبعية الغربية الأمريكية في جميع مظاهر الحياة، وعدم تميز المسلمين في عقيدتهم وسلوكهم.

٣-قـــضية التبعـــية الاقتـــصادية للغرب وشيوع المعاملات الربوية العديدة المخالفـــة لشريعـــة الإسلام، وكيفية تعامل المسلم في معاملاته المختلفة مع شيوع الربا في كثير من المعاملات.

٤-قـــضية الانحـــلال الخلقي والإباحية التي تفشت في المجتمعات العربية والإسلامية، وأخذت مظاهر متعددة من سفور المرأة وتبرجها واختلاطها الاختلاط المشين، وامتهانها في العديد من المهن الرذيلة التي تتخذ منها المرأة سلعة رخيصة أو وسيلة لجذب الأنظار.

٥-قـــضية حقوق المرأة ومكانتها في الإسلام ردًّا على دعاة تحرير المرأة الذين يعملون علـــى تمـــرد المرأة على دينها وقيمها الإسلامية، ونبذها لمقاييس الطهر والعفة والفضيلة، واتهام الإسلام بانتقاص المرأة حقوقها وإهانتها.

٦-محاربـــة سموم العصر الفتاكة التي تفتك بشباب المسلمين فتضعف عقولهم وتنهك قـــواهم وأجسادهم على مختلف أنواع تلك السموم من أصناف الخمور والمخدرات على اختلاف أنواعها.

٧-قـــضية التربية وانحسار دور الأب والمربي في البيت، وغيابه وذوبانه في دوامة الحياة الاقتصادية.

٨-افـــتقاد القدوة في المدرس والشيخ والعالم وأهل الحل والعقد، والتماس القدوة في

أنواع من الزعماء يختلفون بين القصد والتوسط والمغالاة والتطرف والانحلال والتسيب.

٩-فساد التعليم وفشل محاولات التطوير وجنوحها جهة الغرب باستيحائه وتقليده في خيره وشره.

١٠-الفساد الإداري العام والذي يؤثر بطبيعة الحال على جميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية وغيرها.

فهذه فقط بعض القضايا التي تطرح نفسها على الساحة اليوم، وينبغي أن تشكل جزءًا كبيرًا من برنامج الدعوة وموضوعاتها، بالإضافة إلى قضاياه الأساسية الثابتة من الدعوة إلى عبادة الله تعالى وتوحيده وتزكية النفوس وإصلاحها، وبيان معالم الدين وأسسه، ودفع الشبهات عنه والانتصار لعقيدته وثوابته.

ومن ثم تنحسر في هذا الواقع بالضرورة كثير من القضايا التي أفرزتها عصور سابقة، والتي كانت تلبية لظروف هذا العصر.

ومن ثم إذا كنا بصدد الحديث عن تطوير الدعوة ينبغي أن نحث الدعاة على الارتباط بقضايا العصر، ومحاولة الخروج من العصر الأموي والعباسي وغيرها من العصور السابقة، ليس على سبيل التمرد والتنكر لتراثنا بل على سبيل العمل على مواصلة المسيرة، وإكمال جهود السلف، وعدم الوقوف عند ما أملته عليه عصورهم وظروفهم فإن هذا لا يعني الوفاء للسلف، والعمل على تنمية دعوتهم بقدر ما يعني إماتة هذه الدعوة والعمل على تجميدها وعدم تنميتها.

لا يليق بالدعاة أن يقدموا مناهج الدعوة وموضوعاتها على ما هي عليه في صورتها القديمة بموضوعاتها وتفصيلاتها وأمثلتها المنبثقة من بيئتها.

فثمة داع يحدث الناس في قضية خلق القرآن، وداع يحدث الناس عن ربا الفضل وأنه لا يجوز بيع مطعوم بمطعوم مع زيادة، وأن العلة في ذلك هل هي الطعم أو كونه موزونًا أو مكيلاً أو كونه موزونًا مكيلاً ونحو ذلك.

أو يحدثهم عن جواز التعامل بالفلوس وهي كسر الدراهم المضروبة من النحاس أو البرونز وغيرها من المعادن الرديئة...

وهذا لا ينبغي كما سبق أن ذكرت، إن هذه كلها موضوعات صالحة للدراسة ويجب الإلمـــام بها ومعرفتها للدارسين، ولكن ليست هي من موضوعات الدعوة التي يجب فرضها على العامة وشغلهم بها، ما لم تتفش صورة منها في المجتمع أو يبتلى بها.

للأســـف الـــشديد لا يزال كثير من المشايخ يوجهون أنظار سائليهم عن كتاب في العقـــيدة إلى كـــتاب يعـــرض مسائل الخلاف بين أهل السنة والجهمية والمعتزلة والمرجئة والأشعرية وغير ذلك.

فيشغل هذا المدعو بكثير من القضايا التي لا يجدها في واقعه ولا يعرفها ولا يفهم كثيرًا مـــن أبعادها؛ لأنه لا يعاصرها ثم يظل منعزلاً بعد ذلك عن قضايا مجتمعه وتصوراته وما يناقشه من المسائل والمحدثات.

وهذا يرجع إلى أمر من أمور:

١-إمـــا جهل هذا الشيخ بمصادر العقيدة ومصنفاتها في الواقع المعاصر، أو خلطه بين التوحـــيد الـــذي بعث الله تعالى به الرسل والعقيدة الحالية التي تمثل ردودًا متراكمة على المبـــتدعة في مختلف الأزمنة والأمكنة، فلابد من التفريق بين التوحيد الذي بعث به الرسل في ثبات حقيقته ومفهومه وتصوره وبين العقيدة التي تختلف باختلاف الزمان والمكان وما يجد فيهما من البدع والمحدثات.

٢-وإما إلى قلة تلك المصنفات الحديثة التي تعرض العقيدة عرضًا معاصرًا ميسرًا يركز على القضايا والمقاصد الأساسية الثابتة ويربطها بقضايا العصر ومسائله الملحة.

٣-وإمـــا لشيوع حالة من الانعزالية والتأخر والانكباب على الماضي والعكوف على التراث دون النظر إلى الواقع واستشراف المستقبل.

إن هـــذا كلـــه يدعونا إلى إعادة صياغة منظومة الإسلام في كافة علومه من عقيدة ومعاملات وآداب... إلخ.

فينبغـــي أن تصاغ هذه العلوم والموضوعات كلها صياغة عصرية جديدة تحافظ على الأصـــول والمقاصـــد الأساسية، وتعيد طرحها وتيسيرها بلغة العصر، وفي ضوء معطياته وتحدياته.

لابـــد أن تـــضمن تلك العلوم جميع قضايا العصر كل في بابه، فما يخص العقيدة في العقيدة، وما يخص المعاملات في المعاملات، وما يخص الآداب في الآداب وهكذا..

إنـــنا للأســـف الشديد وطيلة قرون عديدة نعيش في الغالب عالة على تراث أسلافنا نأخذه كما هو لا نزيد عليه شيئًا سوى الإيضاح والشرح والتحقيق والتقرير.

إن كل عصر وواقع لابد أن تكون له منظومة ثقافية خاصة به تعبر عن ظروفه وأحواله وهمومه وقضاياه دون تنكر للأصول الثابتة.

دعوة إلى تطوير حقيقي في مصادر المعرفة الإسلامية:

ومن ثم فإننا ندعو إلى تطوير حقيقي شامل لجميع مصادر المعرفة الإسلامية بما يناسب لغـــة العـــصر وظـــروفه وقـــضاياه ومعطياته وتحدياته، دون المساس بالأصول والمقاصد الأساســـية، وهذا أمر ينبغي أن تنهض له همم الهيئات والمؤسسات الدعوية في جميع بلدان العالم؛ لأن هذا أمر لا طاقة للأفراد به، وإن تصور أن تكون ثمة جهود فردية في هذا المجال فإنه لا يتصور أن تتصف بالشمول والإحاطة والإتقان في منهج واحد متشاكل، لذا فلابد مـــن تنـــسيق الجهود، وتوزيع الأدوار، وتوحيد معالم منهج التطوير والتجديد من خلال مؤسسات دعوية ثقافية تقوم على إدارة مثل هذه المشروعات الضخمة...

ولاشك أنه قد ظهر في الواقع المعاصر شيء من هذا؛ حيث قامت بعض المؤسسات بإصدار بعـــض الموســـوعات الـــشاملة ذات الجهد الواضح، غير أن الغالب على مثل هذه الأعمال هي الإغراق في التراث أكثر من الإغراق في الواقع، وغلبة صفة التراثية فيها على صفة المعاصرة، ومن ثم فالحاجة ملحة إلى أعمال موسوعية تجمع بين هاتين الصفتين التراثية والمعاصرة.

خامسًا: الدعوة بين المقامية والانتقالية:

تتـــنوع وســـيلة التخطيط للدعوة بين الدعوة المقامية التي يلازم فيها الداعي حيَّه أو بلدته، وبين الدعوة الانتقالية التي يتنقل الداعي فيها من مكان إلى مكان، وفي كل خير.

ففـــي الدعوة المقامية الدائمة المستمرة تتأصل المفاهيم وتترسخ القيم، ويلاحظ الداعي المدعـــوين عن كثب وقرب، فيكون دائم التوجيه لهم، يصحح الأخطاء أولاً فأول، ويتابع المدعو في أطوار نشأته واستقامته حتى يستقيم عوده ويصلب ويقوى.

وفي الدعوة الانتقالية يتجدد النشاط والحماس، ويشعر الداعي أنه يتكلم لأول مرة فلا يخشى ملل السامع ولا سآمته، ويستقبل المدعو كلام الداعي فيطرب له لجدته وطرافته، وقديمًا قالوا: (زامر الحيّ لا يطرب)؛ فالناس يتأثرون بكل جديد طريف ويملّون كل مكرر مُعاد.

وبالانتقال والتحرك خارج الحي أو القرية أو خارج القطر يحتك المرء بأناس جدد، ويتعرف على أقوام لهم من المعارف والعادات والتقاليد والثقافات ما لم يعهده من قبل؛ فتزداد معرفته وخبرته بالناس والحياة، ويكون له من الصلات ما تتسع به دعوته ويكتب له بها النجاح.

أما ميادين الدعوة الانتقالية فتتنوع بين المساجد المختلفة، تلبية لدعوة إلى خطبة أو درس أو محاضرة ونحو ذلك، وكذلك الأندية فيما يقام فيها من الندوات والمحاضرات، ويمكن لكل مسلم واعٍ أن يتخذ من ناديه ومجتمعه مع أصدقائه ميدانًا لدعوته على أن يتلطف معهم في الحديث، ويحسن تخير المداخل المشوقة التي تجعل المدعوين هم الذين يسألون في أمور الدين ويستزيدون منها، ويعينه على ذلك أمور:

أ- صلاحه وحسن خلقه وسمته:

فذلك يجعل الناس يلجئون إليه في مهماتهم وفيما يعرض لهم من أمور دينهم، فلقد لجأ صاحبا السجن إلى يوسف في تأويل رؤياهما لما بدا عليه من أمارات الصلاح فقالا له: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

ب- ثقافته ولباقته وتقاربه الفكري والثقافي مع المدعوين:

وقد سبق أن أفضنا الحديث عن ذلك بما يغني عن إعادته هنا، والمسلم الداعي إلى الله تعالى يمكن أن يدعو إلى الله تعالى في كل مكان، في مكان عمله بين زملائه فيدعوهم إلى إقامة الصلاة، ويدعوهم إلى إتقان العمل وإصلاحه والإخلاص والاحتساب فيه، ويكون لهم قدوة في ذلك.

وفي مكان دراسته سواء كان مدرسة أو معهدًا أو جامعة بحسن التآلف بين زملائه والأخذ بأيديهم إلى سبيل النجاة، وحثهم على حلقات العلم، وتلاوة القرآن ومجانبة سبل

---

(١) يوسف: ٣٦.

الضالين والمفسدين... إلخ.

يقول الشيخ رضا صمدي في هذا الداعي الميداني: "إنه الداعية المتحرك في كل صوب، المتقن لدعوته في كل ثوب، إن كان في بيته فنعم العائل والمربي، فإن نزل الشارع وخالط الناس وسعهم بدعوته، فإن ركب وسيلة مواصلات تناثرت بركات دعوته على من حوله من الركب، إذا دخل مصلحة لم يخرج منها إلا بغنيمة دعوية؛ نصيحة يسارّ بها موظفًا، أو موعظة يسمعها لسافرة، أو كلمة معروف يذكر بها من يقف معه في الطابور، إنه المبارك في حله وترحاله؛ كالغيث أينما وقع نفع:

فلا مـــزنة ودقت ودقـــها ولا أرض أبقلـــت إبقالها"[1]

"إنه الداعية الميداني متحرك لدينه، سواء كان مدرسًا أو طالبًا، مهندسًا أو طبيبًا، عالمًا أو مـــتعلمًا، سائقًا أو راكبًا، حالا أو مرتحلا، أميرًا أو مأمورًا، رئيسًا أو مرؤوسًا، زوجًا كـــان أو عزبًا، فقيرًا أو غنيًّا، صحيحًا كان أو سقيمًا، مبصرًا كان أعمى، سليم الأعضاء أو معوقًا، في الشارع أو في البيت أو في الجامعة أو في المدرسة، أو في الدكان أو في الحافلة أو في الشارع أو في أي مصلحة حكومية، بلسانه ويده، بنفسه وماله، بكله يتحرك للدين ويـــنافح عـــنه، لـــسان حاله: ﴿**إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَـــرِيكَ لَـــهُ وَبِـــذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾[الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وشعاره: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[يوسف:١٠٨]"[2].

---

(١) ٣٠ طريقة لخدمة الدين- (٢٩٧).

(٢) السابق-٢٩٩.

خامسًا: الوسائل الدعوية من حيث الشكل:

وتنقسم إلى قسمين:

أولا: الوسائل العادية:

١-الجلسة أو المحادثة:

وهـــي عادة لا تأخذ الشكل الرسمي، وإنما تأتي في إطار الحديث العام، ويحاول الداعي من خلالها توصيل قضية ما بطريقة مبسطة، وتتسم بأنها تمكن المدعو من المناقشة والحوار، والاستفصال عن المشكلات.

ويحاول الداعي أن يدير دفة الحوار بذكاء دون إشعار المدعو بأنه يوجه لطريق معينة، ولكن ينجح الداعي إذا شعر المدعو أنه وصل للنتيجة المراد الوصول إليها دون ضغط من أحد، ولكنها عن طريق قناعته الشخصية.

٢-الموعظة أو الكلمة:

وهـــي عـــادة ما تكون كلمة قصيرة من خلال آية أو حديث غالبًا، ويركز فيها على التذكرة السريعة للحاضرين لإزاحة الغفلة وتجديد التوبة والإنابة وتذكر بالآخرة والرجوع إلى الله تعالى.

وينبغي أن تكون هذه الكلمة أو الموعظة مركزة مجتمعة الفكرة، مرتبة الكلام والمعاني، قـــوية الـــتأثير بألفاظها ومعانيها وأمثلتها، يعتمد فيها المتكلم على وسائل التأثير الوجداني السابق بيانها أكثر من وسائل التأثير العقلي.

وهـــذه الموعظة لقصر مدتها تتراوح بين خمس دقائق وخمس عشرة دقيقة أكثر مناسبة لظـــروف العـــصر لانشغال الناس، وغلبة الحياة المادية عليهم بقساوتها وغلظها، فلا يكاد يصبر المستمع أكثر من دقائق معدودة حتى تستفزه أمور الدنيا وتستنهضه لتداركها، ومن ثم فهـــو ينـــصرف ابتداء عن سماع الدروس والمحاضرات ولكن قد يجلس لسماع موعظة عابرة إن علم أنها لا تزيد على دقائق معدودة يختلسها من زحام الحياة.

٣-الخطبة:

"هي وسيلة جيدة للتبليغ وتكون عادة لجمع من الناس قد لا يعرفهم الداعي أو يعرف بعضهم فقط، ويشترط للخطبة الناجحة أن يكون لدى الداعي معنى أو معان معينة يريد بيانها ولفت الأنظار إليها، ومن المستحسن أن يكون موضوع الخطبة مما له علاقة في أحوال الناس مع ربط ذلك بمعاني العقيدة الإسلامية، كأن يكون الذين يخطب فيهم ممن تكثر فيهم العصبية القبلية، فيحدثهم عن أضرارها وحكم الإسلام فيها، وأن المؤمن لا ينصر قريبه إلا بالحق، وأن على المسلم أن يرضى بما قضى به الإسلام من التآخي بالإسلام ونبذ العصبية الجاهلية. وعلى الداعي الخطيب أن يلاحظ في خطبته الأمور التالية:

١-الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتطبيقات العملية لها من قبل الرسول الكريم والرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، والصحابة الكرام، فإن ذكر التطبيق يجعل معنى الآية والحديث مشهودًا محسوسًا.

٢-يستعين بالقصص الواردة في الكتاب والسنة ولا بأس من تصوير المعاني بشكل قصص وضرب الأمثال كما في الحديث الشريف: "أرأيتم لو أن في باب أحدكم نهرًا يغتسل فيه في اليوم خمس مرات أيبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: كذلك الصلاة".

٣-أن لا يطيل في الخطبة.

٤-أن لا يكثر الخطب مخافة السآمة.

٥-أن يكون كلام الداعي بسيطًا واضحًا لأن الذين يسمعونه ليسوا في مستوى واحد من العلم والقدرة على فهم الخطاب. فإذا اختار الأسلوب البسيط الواضح والعبارات القصية انتفع بها الجميع وفهمها الجميع.

٦-من المفيد للخطيب أن يبدأ خطبته بما يذكر الناس بربهم، ويبين لهم، وينذرهم.

٧-من المفيد للخطيب أن يبدأ خطبته بما جلب انتباه السامعين من حادثة صادفها أو قصة قرأها، أو خاطر انقدح في نفسه، فإذا جلب انتباه السامعين مضى الخطيب في كلامه مسترسلاً مشوقًا ومنذرًا.

٨-على الداعي أن يتفرس في نفوس الحاضرين وأي مرض يغلب عليهم وأي شيء

يحتاجونه أكثر من غيره، فيبدأ به ويربطه بالعقيدة الإسلامية فإذا كانوا بحاجة إلى التخويف والترهيب لما يلمسه فيهم من الجرأة على المخالفات الشرعية ذكر لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك وخوفهم من طول الأمر وأن الحزم يقضي بأخذ العدة قبل حلول الأجل، والعدة هي تقوى الله فإنها خير ما يتزود به المسافر إلى الله: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾[1]، وأن لذة المعصية وهي قصيرة تعقبها مرارة الندم والعذاب مدة طويلة. والعاقل من صبر نفسه عن لذة حرام لا تدوم ليظفر بلذة حلال تدوم ولينجو من عذاب دائم مقيم. وإذا رأى في القوم الذين يخطب فيهم شعورًا باليأس والقنوط وصعوبة الرجوع إلى الله ذكرهم بعظيم رحمة الله وأن الله يقبل التائبين الصادقين وقال فيهم: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾[2]، ويذكر لهم قصة القاتل مائة نفس وكيف أن الفقيه دله على طريق التوبة إلى الله والتحول إلى القرية الصالحة.

٩-على الداعي أن يحذر من ذكر الآيات والأحاديث التي قد يساء فهمها دون شرح وبيان لها مثل قوله ﷺ: "من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة". فعلى الخطيب أن يشرح الحديث حتى يفهمه السامعون الفهم الصحيح.

١٠-وعلى الداعي أن لا يسرع في كلامه ولا يرفع صوته بلا حاجة.

١١-يستحسن أن تكون الخطبة ارتجالاً لا في ورقة مكتوبة وأن تكون معانيها حاضرة في ذهنه، أي: أعدها من قبل"[3].

٤-المحاضرة:

"والغالب في المحاضرة أنها تعالج موضوعًا معينًا باستقصاء وإحاطة وذكر الأدلة والبراهين، وذكر ما قيل حول الموضوع، والصواب من هذه الأقوال، والمحاضرة الناجحة

---

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) الزمر: ٥٣.

(٣) أصول الدعوة: ص(٤٥٦-٤٥٨) باختصار.

مـــا كانـــت تهدف إلى هدف معين ومحدد وتجلي هذا الهدف وتبينه البيان الشافي المقنع. ويجب على المحاضر أن يكون دقيقًا في كلامه لا يلقي القول جزافًا ولا يكثر من العبارات العاطفية، لأن مجالها الأصلي الخطبة وليس المحاضرة، وأن يشرك السامعين معه في الوصول إلى ما يريده بأن يبين مقدمات النتيجة التي وصل إليها في بحثه فإذا ما استطاع إقناعهم بها كـــان وصولهم إلى النتيجة ميسورًا. وعلى المحاضر أن يقيم المقدمات لما يريد الوصول إليه علـــى مـــسائل واضحة جلية مشهورة وأن يتجنب المسائل الدقيقة والمشتبهة والتي تقبل الأخـــذ والرد، أو التي هي في نفسها تحتاج إلى إثبات، ومن هذه المسائل ما تعورف على تسميته بالمعاني الفلسفية، فإذا أراد المحاضر أن يعرض بعض الحقائق الدينية وأصول العقيدة الإسلامية مثل البعث بعد الموت فيكفيه أن يلفت الأنظار إلى ما نشاهده من موت وبعث في عـــالم الحيوان والنبات وأن يضرب الأمثلة على ذلك لتقريب هذه الحقيقة إلى الأذهان. وهذا النهج ورد في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَمِـــنْ آيَاتِـــهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْـــيَاهَا لَمُحْيِـــي الْمَوْتَـــى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1]، فالحياة بعد الموت أثر مشاهد محـــسوس، أرض ميتة لا نبت فيها ولا حياة ينزل الله عليها المطر فتهيج وتخرج منها نبات حي بألوانه المختلفة وطعومه المتنوعة، أن الله الذي أحيا هذه الأرض هو الذي يحيي الموتى بعـــد أن خلقهم من ماء مهين من نطفة نعرف ونراها، فإن الإعادة كما هو معلوم أسهل من الابتداء قال تعالى: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُـــلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[2]. هذا وعلى الداعي في محاضرته أن لا يكون جافًا بل عليه أن يضفي على محاضرته شيئًا من التحريك العاطفي الـــوجداني بمـــا يذكـــره مـــن حقائق الإسلام ومعاني العقيدة الإسلامية. وهذا التحريك

---

(١) فصلت: ٣٩.

(٢) يس: ٧٨-٨٩.

الوجداني يقوم على أساس إثارة ما في النفوس من معاني الإيمان"[1].

وفرق البعض بين الخطبة والمحاضرة بفروق ظاهرة مثل:

أ)يغلب على المحاضرة صبغة تقرير الحقائق، وتثبيت المعاني. أما الخطبة فيغلب عليها صبغة إثارة العواطف والمشاعر والوعظ.

ب)عناصر المحاضرة أشبه بالقواعد والأصول والأحكام.. أما عناصر الخطبة فأشبه بالخواطر العارضة والمعاني الطارئة.

ج)تحتاج عناصر المحاضرة إلى الشرح والاستشهاد... أما الخطبة، فشأنها الاسترسال مع ما يحضر من الخواطر والمعاني.

وأرى -شخصيًا- أن تكون الخطبة مرتجلة: بل أرى أن تكون دروسك ومحاضراتك كلها مرتجلة... أما محاضر الورقة، وخطيب الورقة فلا شأن لنا به، إذ لا حاجة بالنهضات إليه.

نعم قد يحتاج المرء إلى تحضير كلامه في الورق، إذا كان المقام يقتضي تحديد معاني الألفاظ، وتبيين مرامي العبارات، كهؤلاء السياسيين المسئولين، أو المفاوضين الذين يضطرون إلىتضمين العبارات وتحميل الألفاظ معاني وإشارات لا يستطيع الارتجال أن يفي بحقها... فلنسم أمثال هذه الكلمات "بيانًا" فإذا كان لابد من تسميتها خطبًا، فهي ليس من النوع المنهض الذي نريده.

ونعني بالارتجال، ارتجال الألفاظ فقط، لا ارتجال المعاني والعناصر، إذ لابد للخطيب الذي يحترم نفسه ويقدر واجبه، أن يعرف ما سيقول... لابد أن يعد لموقفه مادته من الأفكار والخواطرا لمناسبة، وأن يهيئها في نفسه، وأن يجيلها في ذهنه أكثر من مرة.

وهذا الارتجال المحضر هو ارتجال التركيز، والبناء، والثبوت والدوام... فإذا وقف الداعية ليتكلم وقف وهو رابط الجأش، ثابت النظرات، مالك لزمام نفسه وزمام موضوعه، مستندًا إلى ما أعد من ذخيرة، فإذا فتح له في موقفه عن جديد من الخواطر

---

(١) السابق: ص(٤٥٩-٤٦٠).

والمعاني، فبها ونعمت، وإلا فحسبه أنه ينفق مما لديه.

وهـــناك ارتجال غير محضر، وهو في الغالب، يعبر عن صدى الحوادث في نفسه؛ أو هو استجابة لحادث، أو رؤية، أو سماع أثار مشاعره، فلا يزال يرتجل، ويسترسل مع الدواعي الطارئة والحوافز العارضة، حتى تنحل عقده النفسية، ويشعر أن قد هدأت ثوائره، فينتهي عند ذلك ارتجاله.

وهـــذا الـــنوع لإثارة السامعين إثارة وقتية، أو توجيههم إلى وجهة أو عمل مطلوب لساعته.. أما أنه للتركيز، والإنشاء والثبوت فلا.

وهـــذا الارتجـــال الـــذي يقوم على حركة الوجدان، لا يؤدي مهمة إلا إذا كـــان صـــاحبـــه يتمتع بموهبة أصيلة، وتجارب سابقة، درسها وفكر فيها، فـــيرتكـــز عليهـــا كأنهـــا نقـــط محضرة، وبدون هذا يكون الكلام غالبًا غير مرتب، وقد يمل لتفاهته وكثرة اضطرابه.

٥-الدرس:

قد لا يفرق كثيرًا بين الدرس والمحاضرة، ولكن من المصنفين في مناهج الدعوة من فرق بيـــنهما فيرى البهي الخولي[1]: "أنه جرى عرف الوعاظ والدعاة -غالبًا- على أن يكون موضوع الدرس آية من كتاب الله -عز وجل، أو حديثًا من سنة رسول اللهﷺ.

وفي رأيـــي أن الـــدرس أشـــق من المحاضرة، أو بعبارة أحكم، الدرس أحوج إلى دقة الداعـــية وحساسيته من المحاضرة.. فالمحاضر يحصر همه في إقناع الجمهور بموضوع معين، ولا يعنـــيه مـــن الآية أو الحديث إلا وجه واحد من جوه الدلالة، هو الوجه الذي يتصل بغرضـــه... أما المدرس، فالآية تفرض عليه الدقة وطول التأمل، والوقوف عند كل كلمة، بل عند بعض الحروف أحيانًا، وفي كل وقفة من هذه إشارات ومعارف وعلوم إلهية تلتمع أنوارها في صدر الباحث، فإذا به ينشرح ويتسع، ويفرح بفضل الله.

ومن هنا أحب أن أنبه إلى أن الدرس يجب أن يكون أحفل بالرقائق، التي تحرك القلب،

---

(١) انظر: البهي الخولي: "تذكرة الدعاة"، دار البشير ط١ ص(٣١٧).

وتخاطب الوجدان.. فإذا أفسحت لك الآية بين كلماتها، وشفت لك عما وراء سطورها. فاستخرج ما تشاء من المعاني، ثم رتبه واربط بين بعضه وبعض، ثم وسع دائرة الحديث بما يتصل بالمعنى من آيات الكتاب وسنة رسول الله وصحابته، وأخبار الناس قديمًا وحديثًا، وصل ذلك -ما أمكن- بحوادث الحياة وواقعها العلمي.

ودرس الحديث كدرس الآية في كل ما ذكر، وعندي أن الدرس أكثر فائدة من المحاضرة... فالدرس ميسور لك في كل وقت فما عليك إلا أن تجلس في ناديك أو مسجدك لتلقي درسك على من يحضر من خلق الله، وهذا لا يكون في المحاضرة.

ذلك إلى أن قلة عدد من يحضر الدرس -عادة- تمكن الدرس، من التأثير برقائقه في قلوب مستمعيه، ومن إنشاء صلات روحية، تعارفية عملية، بينه وبينهم، فيكونون معه غالبًا على ما يريد... أما جمهور المحاضر فقد جاء غالبًا "ليسمع".. ويقضي وقتًا ما.. فإذا استولى المحاضر على ألبابهم وإعجابهم، كان أثره "وقتيًا" لدى الأكثرين وما أقل من يقع في يدك من مستعمي المحاضرة، ليكون جنديًا من جنود فكرتك"[1].

٦-الندوة:

الندوة أعم من المحاضرة، حيث يكون في الندوة أكثر من محاضر، وبذلك يكون هناك ثراء في الموضوع؛ حيث يلمس كل واحد منهم الموضوع من زاوية معينة، فتتكامل الرؤية بكثرة الطرح والمعالجة، هذا إلى جانب اتساع نطاق المناقشة والحوار بين جاب الحضور، ولا يخفى أهمية التركيز على طرح الموضوعات الحية التي تشغل بال الناس، وخصوصًا الشباب الذين يحتاجون من الدعاة بذل المجهود، حتى لا تنحرف مفاهيمهم.

٧-المؤتمر:

تكون المؤتمرات تحت رعاية الدول، وتكون الموضوعات المطروحة فيها على درجة عالية من الأهمية، وتتسم المؤتمرات كذلك بأنها تستمر أكثر من يوم، مع وجود وفرة في الحضور، كذلك تكون فعاليات المؤتمر على درجة عالية من النشاط؛ حيث تكثر ورش

---

(١) تذكرة الدعاة: (٣١٧-٣١٨).

العمـــل التي تعالج فيها كثير من القضايا المطروحة للنقاش، وتكون المؤتمرات على مستوى الـــصفوة مـــن العلماء والدعاة الذين يتلاقون تحت مظلة المؤتمر فيحصل التلاقح الفكري، والنشار في القضايا المختلفة، ومحاولة رأب الصدع وتوحيد العمل الدعوي.

وفي اســـتمرارية المؤتمـــرات أهمـــية عظيمة؛ حيث يخرج كل مؤتمر بتوصيات، وهذه التوصيات يجب أن تكون محل التنفيذ، فإذا لم تتم الاستمرارية فقد تضيع هذه التوصيات، وفي الاستمرارية يكون التواصل بين العلماء كما ذكرنا سابقًا.

وإذا كـــنا بـــصدد الحـــديث عن التطوير، فينبغي أن ترتبط هذه الأنواع (الخطبة – المحاضرة – الدرس .. إلخ) بواقع المجتمع وقضاياه المعاصرة، بالإضافة إلى القضايا الأساسية كقـــضية الإيمـــان والتوحـــيد والإســـلام وتزكية النفوس والعبادة والمعاملات والأخلاق والآداب.

ينبغـــي أن تلم الخطبة بقضايا الأمة وواقعها، وتقدم للناس في ذلك الرأي السديد من الوجهة الحكيمة التي تنطلق من واقع الغيرة على الدين، والنظر في العواقب وتقدر المصالح والمفاسد.

كذلك ينبغي أن تتركز موضوعات المحاضرات حول قضايا الأمة وواقعها والتحديات التي تواجهها في الداخل والخارج.

كـــذلك ينبغي أن يشير الدرس من قريب أو من بعيد إلى ما يتعلق بواقع الناس، بحيث تضرب الأمثلة من الواقع الملموس لا من الماضي المفقود، أو من الخيال المحلق في الفضاء، أو من المثالية الأفلاطونية البعيدة عن أرض الواقع.

ثانيًا: الوسائل الأدبية:

ونعـــني بهـــا تلك الوسائل التي تعتمد على وسائل التأثير البياني والأدبي المعروفة لدى دارس الأدب والبـــيان، وســـوف نقـــف عـــندها وقفة متأنية عند الحديث عن الوسائل الأسلوبية من حيث التأثير البياني.

والمقصود من الحديث هنا هو لفت الأنظار إلى أهمية هذه الأشكال، وضرورة النظر في مناسبة إحداها لموقف دعوي معين وإمكانية تطوير هذه الوسائل.

فبالنسبة لاختيار إحدى هذه الوسائل ينبغي المواءمة بين طبيعة الموضوع والمناسبة وحجم المعالجة وبين الشكل الأدبي المختار، فقد يريد الأديب مجرد لفت أنظار الأمة لأمر ما ويثير حميتها تجاهه فهنا تأتي القصيدة الشعرية على سبيل المثال، وقد تسع المعالجة أكثر من ذلك بحيث يحتاج إلى تفصيل فكرته وإيضاحها واللجوء إلى وسائل الإقناع العقلي، فهنا تتعين المقالة سواء كانت بالأسلوب الأدبي التحليلي أو الأسلوب العلمي البحت أو العلمي المتأدب كما يسميه البعض، وقد يريد الأديب أن يعالج القضية بطريقة أدبية رمزية مع إيجاز العرض وسرعته بغية سرعة وصول الرسالة للقارئ وسهولة انتشارها فتتعين لذلك القصة القصيرة، وقد يريد الأديب التعبير بطريقة رمزية يغمر فيها الرمز والمغزى ضمن حبكة فنية ونسيج فني يطول من خلال الشخوص والحوار والزمان والمكان وتطور الحدث وبنائه؛ بحيث يخفي مقصده بعض الشيء ولا يفطن له إلا الأريب، وبحيث يصعب محاسبته عليه، أو بحيث يأخذ القارئ بعيدًا عن رتابة السرد التقريري المباشر فهنا تتعين الرواية أو القصة الطويلة.

تطوير هذه الأشكال والإفادة منها في الدعوة:

والحق أن الحديث عن تطوير هذه الأشكال مرهون بتطورها الطبيعي في عالم الأدب، فعلى الداعي الذي يستخدم أداة من هذه الأدوات أن يراقب حركة تطورها في الواقع الفني، بحيث لا يعبر بطريقة متخلفة عن واقعه تجعل الناس ينصرفون عن تذوق أدبه، أو يختار له مدرسة أدبية لا يزال لها روادها وقراؤها ومعجبوها ويتبعها في كتابته وأسلوبه الأدبي، ما لم تكن هذه المدرسة ذات تأثير فكري معارض ومعاند لحقائق الدين وعقائده الثابتة مثل المدارس الحداثية الراهنة.

وإن كان لا مانع أن يفيد الأديب من جميع الاتجاهات مع تميزه بأفكاره ومضامينه الدينية الدعوية الملتزمة، خاصة إذا كان ثمة اتجاه حديث له أنصار وأتباع كثيرون أو يراد التأثير فيهم بأدب إسلامي صادق.

هذا كله مع الالتزام بالمبادئ الإسلامية التي سبق إيضاحها وبيانها في الحديث عن المبادئ الإسلامية الأدبية في ضوء الكتاب الكريم والسنة النبوية.

سادسًا- الوسائل الأسلوبية:

وتنقسم هذه الوسائل من حيث نوعية التأثير على المتلقي إلى:

١-وسائل التأثير العقلي.

٢-وسائل التأثير الوجداني.

٣، ٤-وسائل التأثير البياني.

وقد سبق الحديث عن هذه الوسائل[١] من قبل، ونحتاج أن نركز هنا على كيفية تطوير تلك الوسائل بحيث تكون أكثر مناسبة لمعطيات هذا العصر وتحدياته.

وإذا كنا قد أفضنا شيئًا ما في بيان وسائل التأثير العقلي على العموم وهي:

أ-مخاطبة العقل بالتفكير المنطقي السليم.

ب-استخدام البديهيات العقلية المسلمة.

ج-التسلح بثقافة العصر لإحداث نوع من التقارب الفكري بين الداعي والمدعوين.

وينبغي أن نعلم هنا أولا أن لكل عصر طبيعته في التفكير، فعلى سبيل المثال حاول المعتزلة في العصر العباسي فرض الأساليب المنطقية اليونانية في التفكير وصبغ العقل العربي بصبغة الفلسفة اليونانية والطريقة الكلامية.

وللأسف الشديد ظل هذا المنهج في التفكير هو السائد والمسيطر على العقلية العربية المفكرة والمبدعة في كثير من العلوم؛ كعلم المنطق، وعلم الكلام والجدل، وعلم النحو العربي، وعلوم البلاغة والنقد الأدبي، وعلم أصول الفقه والفقه، والعقيدة الأشعرية وغيرها من العلوم العربية والإسلامية إلى فترة قريبة، ولا زالت تلك الكتب التي صنفت على هذا النهج تدرس إلى الآن في كثير من مدارسنا ومعاهدنا لاسيما في الأزهر الشريف في مصر؛ حيث كان للأزهر أثر كبير في الحفاظ على تلك المناهج باعتبارها تراثا لا يجوز تعديله أو تغييره أو تخطيه بشكل من الأشكال.

---

(١)انظر الفصل الخاص بمعالم المنهج الدعوي في ضوء الكتاب الكريم والسنة النبوية.

ويعجب المرء حينما ينظر في المناهج التعليمية الأزهرية فيجد أن الكتب المقررة على الطلاب في المدارس الثانوية الأزهرية والإعدادية -أيضًا إلى عهد قريب- هي هي الكتب نفسها، التي كانت سائدة في القرنين السابع والثامن الهجري وما قبلهما أو ما بعدهما قليلا، سواء في العقيدة أو الفقه أو التفسير والحديث واللغة والنحو والبلاغة...إلخ.

وهذا يدل إلى أي مدى سيطر هذا المنهج والطريقة المنطقية اليونانية على طريقة التفكير لدى العرب والمسلمين إلى بدايات العصر الحديث، ولا يزال تأثير ذلك إلى اليوم.

والذي يعنينا من ذلك كله أنه كانت هناك فترة تغلب فيها الطريقة المنطقية بما تتسم به من تقرير المقدمات والنتائج واستخدام الأقيسة المنطقية الأرسطية فيما لا حاجة إليه من بديهيات العقول، مع جفاف الأسلوب وتعقيده، وغياب الروح الأدبية، والمغالاة في التقعيد والتنظير.

أقول: إذا كان هذا هو الأسلوب الذي كان سائدًا في كثير من عصور الجمود والتقليد والتأخر والتخلف لدى المسلمين، فينبغي ألا تكون هناك عودة لمثل هذا الأسلوب في الخطاب الدعوي اليوم.

بل ينبغي على الدعاة أن يعرفوا طبيعة هذا العصر، وطبيعة المنهج الغالب عليه في التفكير مع مراعاة خصوصية كل بيئة، فإذا استثنينا البيئات الخاصة كالقرى مثلا، فإن طريقة التفكير السائدة هي الطريقة العلمية المتأثرة بالمنهج العلمي التجريبي في العصر الحديث، والتي تعلي من شأن المادة وتركز على الظواهر والوقائع دون الغيبيات.

ليس معنى ذلك أن يتم إلغاء الحديث عن الغيبيات مثلاً فهذا أصل من الأصول ملتصقة بحقيقة هذا الدين، ولكن المقصود هو الإفادة من هذا المنهج العلمي التجريبي والإفادة من حقائقه في إثبات حقائق التوحيد، ودلائل القدرة والحكمة والعلم الإلهي في الكون[1].

---

(١) انظر على سبيل المثال طريقة الشيخ عبدالمجيد الزنداني في توظيفه الحقائق العلمية للتدليل على الغيبيات وخاصة الصفات الإلهية.

إن الداعي المعاصر ينبغي أن يتسلح بقدر كاف من معرفة علوم العصر، ولابد أن يعمل على اكتساب العقلية العلمية لا لتحكيمها في حقائق الإيمان وغيبياته بل لكي يقنع بها المدعو ويدلل له على أن حقائق الدين لا تتنافى ولا تتعارض مع الحقائق العلمية الكونية، بل إن الحقائق العلمية الكونية هي من أعظم الأدلة على إثبات تلك الحقائق.

وقد أرشدنا القرآن العظيم إلى ذلك في مواضع عديدة فعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ**﴾[3]...إلخ الآيات الكثيرة الواردة في الدعوة إلى التأمل في صفحة الكون والغوص فيه لمعرفة أسراره ودقائقه للتوصل بذلك إلى ذلك التوافق العجيب بين دلالة تلك الآيات الكونية مع الآيات السمعية التي جاء بها النبي ﷺ في القرآن الكريم والسنة النبوية.

ومن ثم يمكن أن نوجز سمات التفكير السائد الآن والذي يجب على العلماء أن يقتربوا منه في حديثهم مع الناس لاسيما الطبقة المثقفة منهم:

١-غلبة العقلية العلمية التجريبية.

٢-التماس الأدلة في الواقع.

٣-اعتماد الطريقة الرياضية في التفكير (١+١)=٢، والنفور من طريقة الفلاسفة القائمة على الظن والتخمين والافتراضات العقلية.

٤-الميل إلى السرعة والإيجاز.

ومع هذا نقول إن هذا لا يعني أننا نطالب الدعاة لكي يكونوا عصريين بالجنوح نحو المادية البحتة في التفكير وإلغاء الجانب الوجداني والبياني، ولكننا ندعو إلى الاهتمام أكثر

---

(١) الذاريات: ٢١.

(٢) فصلت: ٥٣.

(٣) يونس: ١٠١.

بجانب التفكير العقلاني العلمي الرياضي والبعد عن الطريقة المنطقية اليونانية القديمة أو الحجج الكلامية وغيرها من سخافات العقول كما يبدو لكثير من الناس في الوقت الراهن، مع التأكيد على أن التأثر الوجداني في فطرة مستقرة في النفوس لا تزول ما دامت الأنفاس في الأجساد، ولذلك ينبغي ألا يهملها الدعاة.

غير أننا نقرر كذلك أن من الناس من هم أميل إلى الطريقة العقلية العلمية، ومنهم من هم أميل إلى الخطاب القلبي الوجداني، ومنهم من هو أكثر انفعالاً للخطاب الأدبي البياني.

ولذلك ينبغي على الداعي أن يتقن هذه الوسائل جميعًا ويعلم متى يركز في خطابه على واحد منها بحسب حالة المدعو وعقليته وثقافته وطريقة تفكيره وحالته النفسية وغير ذلك.

ونذكر هنا بأهم وسائل التأثير الوجداني والبياني التي سبق الحديث عنها فنقول:

وسائل التأثير الوجداني:

أ-إيقاظ الضمائر بإرجاعها إلى الله تعالى وتذكيرها بالرجوع إليه.

ب-استخدام وسائل الترغيب ببيان الثواب العاجل والآجل.

ج-استخدام وسائل الترهيب ببيان العقاب العاجل والآجل.

د-دراسة نفسية المدعو ومعرفة أقرب المداخل إليها.

-وسائل التأثير البياني:

أ-اختيار الشكل الأدبي المناسب للمقام.

ب-اختيار المعجم اللغوي المناسب لثقافة المخاطب.

ج-الموازنة بين الأساليب اللغوية وحال المخاطبين.

د-حسن التصوير باستيحاء الصور من بيئة المدعو.

ونحب أن نزيد هنا الأمر إيضاحًا فيما يتعلق بمسألة التطوير من المهم جدًّا ونحن نتحدث عن التأثير الوجداني أن نؤكد على ضرورة مشاركة الداعي للأمة في أحزانها وأفراحها فلا يليق به أن تمر بالأمة نكبة عامة أو تنزل بها مصيبة شديدة -(الذي يجري في

العراق وفلسطين على سبيل المثال ويكون في بعض الأيام أشد من بعضها الآخر)- ثم نجد هذا الداعي أو الخطيب ضاربًا في جذور الماضي السحيق معتزلا واقعه وكأنه لا يعيش فيه يحدث الناس عن أمور يصلح أن يتحدث فيها كل يوم، ويترك ما يحسن الحديث فيه اليوم.

ولا نريد أن يفهم أن المقصود من كلامنا هذا إلهاب الحماسة وإشعالها دون جدوى أو أن يضرب الداعي دائمًا على أوتار الأحزان والأسقام، أو أن يركب الموجة كما يقولون بل المقصود أن يكون الداعي واعيا حصيفا ذكيا لماحا يستثمر الحدث لصالح دعوته، ويخفف عن الأمة آلامها فيخرجهم من ضيق العسر إلى أمل اليسر في فرج قريب، ويخرجهم من آلام الأحزان إلى همة الإحسان، فعلى سبيل المثال إن حدث زلزال ببلد الداعي مثلا عليه أن يعظ الناس ويذكرهم بأن هذا إنذار من الله تعالى وتحذير للعصاة فعليهم أن يسارعوا بالتوبة وينيبوا قبل فوات الأوان، وأنهم إذا ما تابوا وأنابوا كشف الله تعالى عن الأمة ما هم فيه من الغمة.

ثم يبين أن من هلكوا شهداء قد طهرهم الله تعالى وقبلهم في عليين.

وأن من أصيبوا يريد الله أن يمحصهم وأن يكفر سيآتهم ويتوب عليهم.

ثم يعلق قلوبهم بيسر وفرج قريب ويذكرهم بقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1].

وإذا كان في الأمة احتفال بيوم نصر ونحوه ذكرهم بأن هذا النصر كان بحسن التوكل على الله تعالى واللجوء إليه وإن هذا النصر يحتاج إلى الشكر، وأن الله تعالى يعد على الشكر بالمزيد فيقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وهكذا يكون الداعي مع الأمة في أفراحها وأحزانها فيجد لدعوته آذانًا صاغية، وقلوبًا مقبلة.

وأما بالنسبة لوسائل التأثير البياني: فيجب التأكيد ونحن بصدد الحديث عن التطوير على التنبيه لأمر هام وهو تطور اللغة، فاللغة في تطور دائم، فلو تصورنا شخصًا بعث فينا

---

(١) الشرح:٥-٦.

مـــن مائـــة عام لصعب أو استحال تواصله معنا، ولأغلق عليه وعلينا كثيرًا من المعاني مع وحدة اللغة بيننا وبينه.

وذلـــك لمـــا يجد في الواقع من محدثات ومخترعات وأحداث وتغير وتطور في مختلف مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية...إلخ.

لـــذا ينبغي على الداعي ألا يتحدث مع الناس بلغة العصر الجاهلي مثلا فلو أن واحدًا من عامة الناس سمع أبياتًا لامرئ القيس ولنفترض أنها مطلع معلقته الشهيرة:

بـــسقط اللـــوى بين الدخول فحومل قفـــا نـــبك من ذكرى حبيب ومنزل

لمـــا نـــسجتها مـــن جـــنوب وشمأل فتوضـــح فالمقـــراة لم يعـــف رسمها

وقـــيعاها كأنـــه حـــب فُلفُـــلِ تـــرى بعـــر الآرام في عرصـــاتها

يقولـــون لا تهلـــك أســـى وتجمـــل وقـــوفا بهـــا صـــحبي علـــى مطيّهم

أقـــول لو أن أحد العامة سمع هذه الأبيات لكاد ينكر أنها من العربية، ولما استطاع أن يفهم كثيرًا من معانيها، وإن فهم شيئًا فلن يتعدى فهمه ظاهر اللفظ دون باطن المعنى.

وذلـــك لأمـــور كثيرة غير صعوبة ألفاظها ترجع إلى بعد العهد واختلاف الظروف والأحوال.

فالبيـــئة العـــربية قد تنوسيت معالمها القديمة وأين ما يذكر من تلك الأماكن (سقط اللوى- الدخول- حومل- توضح- المقراة).

وأين عادة الوقوف على الديار، والبكاء على الأطلال لفراق الأحبة وما سبب ذلك؟ ولماذا يرحل الأحبة ولماذا يظعنون، وينتقلون من مكان لآخر؟

وما تلك العادة العربية الجاهلية في استيقاف الصحب، وهل كان مع الشاعر صاحبان يناديهما؟

وأيـــن معـــالم هذه البيئة وما ذكر فيها من الآرام والعرصات والقيعان وحب الفلفل والمطي وغير ذلك؟

هـــذه كلـــها أسئلة تقف أمام القارئ حائلا دون فهم تمام المعنى إن هو عرف ظواهر الألفاظ ومعانيها المعجمية الدالة عليها.

لذا نؤكد على ضرورة أن يستخدم الداعي الخطيب أو المحاضر..إلخ لغة الواقع المعاصر بشرط سلامتها من اللحن والخطأ حفاظًا على لغة القرآن، فالجنوح نحو السهولة والتيسير لا يعني الخطأ واللحن والتخفف من القواعد لأن هذا يؤدي إلى إفساد اللغة، ويكفيها ما أصابها من الفساد في واقعنا المعاصر.

ولذا نحتاج إلى لغة وسط فصيحة ولكنها ليست بعيدة عن البيئة والعصر الذي تستعمل فيه، وذلك حتى لا نفقد التواصل مع الناس.

المراجع(*)

-ابن حجر القطري: الشيخ محمد بن عبدالوهاب- دار الاعتصام- القاهرة.

-ابن كثير: البداية والنهاية.

-ابن كثير: تفسير القرآن العظيم - دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.

-أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي: الاعتصام- ضبطه وصححه: أحمد عبدالشافي- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الثانية-١٤١١هـ-١٩٩١م.

-أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين- مطابع علي بن علي- الدوحة- الطبعة العاشرة- ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

-أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية: الاستقامة- تحقيق: د.محمد رشاد سالم- مكتبة السنة- القاهرة- الطبعة الثانية- ١٤٠٩هـ.

-أبو محمد عبدالملك بن هشام: سيرة النبي ﷺ- النور الإسلامية- عين شمس.

-أحمد بن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم- تحقيق: د/عبدالحميد هنداوي- المكتبة العصرية- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢ م.

أحمد بن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام- جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم، وابنه محمد- دار الرحمة للنشر والتوزيع- بالقاهرة.

-أحمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري- رقم كتبه: محمد عبدالباقي- دار الريان- القاهرة- الطبعة الأولى- ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

-أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي- مكتبة النهضة المصرية- الطبعة الخامسة عشرة- ١٩٩٩م.

-أكرم ضياء العمري: التراث والمعاصرة- رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية- قطر.

(*) قد ينقل البحث عن مؤلفين لهم انتماءاتهم الدعوية الخاصة فنبه إلى أن الباحث غير مسئول عن شيء مما عليه هؤلاء المؤلفون أكثر مما يعنيه النص المنقول، فالموافقة في شيء لا تعني الموافقة بكل شيء.

-أكـــرم ضـــياء العمـــري: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام (في ضوء الكتاب والسنة)- مركز بحوث السنة والسيرة.

-الألباني: الفتاوى الإماراتية.

-أنور الجندي: الإسلام والمصطلحات المعاصرة- دار الهداية- القاهرة- الطبعة الأولى- ١٩٩٧م.

-أيمـــن أبو شادي: نظرة علمية في أهل التبليغ والدعوة- أجياد، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـــ-١٩٩٨م.

-بكر بن عبدالله أبو زيد: حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية- دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية.

-بهاء شاهين: شبكة الإنترنت.

-البهي الخولي: تذكرة الدعاة- دار البشير- الطبعة الأولى.

-توفيق يوسف الواعي: النساء الداعيات- دار الوفاء للطباعة والنشر.

-تيسير محجوب الفتياني: مقومات رجل الإعلام الإسلامي- دار عمار للنشر والتوزيع.

-جـــلال العـــالم: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله- مكتبة التابعين- القاهرة.

-الجويني- مختصر غياث الأمم- تحقيق د.مصطفى حلمي، د.فؤاد عبدالمنعم.

-حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين.

-حسن البنا: مجموعة رسائل الإمام الشهيد- دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة- ١٤١٢هـــ-١٩٩٢م.

-حسن عيسى عبدالظاهر: فصول في الدعوة والثقافة الإسلامية- دار القلم- الكويت.

-حـــسين جابـــر: الطـــريق إلى جماعة المسلمين، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـــ-١٩٨٨م.

-حفـــصة أحمد حسن: أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة- مؤسسة الرسالة- الطبعة الأولى.

-حمد حسن رقيط: فقه التعامل مع الناس- دار ابن حزم.
-خالد بن عبدالرحمن: وجوب الدعوة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ومنهاج جماعة التبليغ في ذلك، دار ثابت.
-الخليل بن أحمد: العين- تحقيق: د/ عبدالحميد هنداوي- دار الكتب العلمية- بيروت.
-خليل صابات: الصحافة.
-خولة درويش: مجالات المرأة الدعوية- دار المحمدي.
-رءوف شلبي: الدعوة الإسلامية في عهدها المكي (مناهجها وغاياتها)- دار القلم- الكويت.
-رضا بن أحمد صمدي: ٣٠طريقة لخدمة الدين- دار الوطن- مصر- الطبعة الأولى. وطبعة أخرى: دار المؤيد- الرياض، ودار الفهد بجدة- ٢٠٠١م.
-رفاعي سرور: بيت الدعوة دراسة اجتماعية من واقع التحرك الإسلامي- مكتبة الحرمين- طبعة رابعة.
-رفاعي سرور: حكمة الدعوة- مكتبة الحرمين- طبعة ثالثة.
-سعد الدين السيد صالح: الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة وجذورها التاريخية، دار أحد، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
-سعيد عبدالعظيم: هيا بنا نؤمن ساعة- دار الإيمان- الإسكندرية.
-سفر بن عبدالرحمن الحوالي: العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة- مطابع أم القرى- الطبعة الأولى- ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
-سليم الهلالي: الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، دار البصيرة، الإسكندرية.
-السيد سابق: فقه السنة- الفتح للإعلام العربي- القاهرة- ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
-شرف الدين الحسين بن عبدالله بن محمد الطيبي: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن- تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي- مكتبة نزار الباز- مكة المكرمة- الطبعة الأولى- ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

-شريف اللبان: تكنولوجيا الاتصال.
-الشوكاني: الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد.
-صالح العبود: عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي- رسالة دكتوراه.
-صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم- دار الحديث- القاهرة- الطبعة الأولى- ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢.
-صلاح الصاوي: الوجيز في فقه الإمامة العظمى.
-صلاح الصاوي: مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي- الآفاق الدولية للإعلام.
-صلاح صاوي: جماعة المسلمين مفهومها وكيفية لزومها.
-عبدالحميد الغزالي: حول أساسيات المشروع الإسلامي لنهضة الأمة- دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة- ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
-عبدالحميد هنداوي: المختصر الصحيح لتفسير القرآن العظيم (لابن كثير) - دار الهدى- القاهرة - الطبعة الأولى- ١٤٢٣هـ-٢٠٠م.
-عبدالحميد هنداوي: دارسات حول الجماعة والجماعات- مكتبة التابعين- القاهرة- الطبعة الثانية- ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
-عبدالرحمن البدّ: مناهج وآداب الصحابة في التعلم والتعليم (أو التحمل والأداء)- دار اليقين للنشر والتوزيع.
-عبدالرزاق الصنعاني: المصنف - المكتب الإسلامي بيروت- الطبعة الثانية.
-عبدالعزيز بن باز من محاضرة له بعنوان: "محمد بن عبدالوهاب دعوته وسيرته"، الدار السعودية للنشر.
-عبدالكريم زيدان: أصول الدعوة- دار الوفاء- المنصورة- ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
-عبدالكريم عثمان: معالم الثقافة الإسلامية- مؤسسة الرسالة.
-عبدالمجيد الزنداني - البيان بين أصل الصعود وخطر التفكك - مجلة إسلامية- مكاتب المنتدى الإسلامي.

-عـــبدالوهاب عبدالعاطي عبدالله: مناهج أولي العزم من الرسل في تبليغ الدعوة على ضوء ما جاء في القرآن الكريم- دار الطباعة المحمدية بالأزهر- ط١- ١٤١٢هـــ-١٩٩١م.

-عـــصام مرعـــي: القول البليغ في نصح جماعة التبليغ- دار أهل السنة- توزيع المكتبة الإسلامية.

-علاء بكر: مذاهب فكرية في الميزان- دار العقيدة- الإسكندرية.

-علي الحمادي: لا تكن كصاحب الجُبَّاعة (خمس وعشرون قاعدة في فنون التعامل مع الآخرين)- دار ابن حزم.

-علـــي بـــن إبـــراهيم النملة: تأملات في طريق الدعوة (جولات في الزمان والمكان والتحديات)- مكتبة العبيكان.

-علـــي بن عمر بن أحمد بادحدح: مقومات الداعية الناجح- دار الأندلس الخضراء- جدة.

-علـــي جريشة: الاتجاهات الفكرية المعاصرة- دار الوفاء- المنصورة- الطبعة الثالثة- ١٤١١هـــ-١٩٩٠م.

-عمـــر عبدالعزيز قريشي: شبهات التفكير- مكتبة التربية الإسلامية- القاهرة- ط١- ١٤١١هـــ.

-عـــوض بـــن محمد القرني: حتى لا تكون كلا... طريقك إلى التفوق والنجاح- دار الأندلس الخضراء.

-فاروق حسين: الإنترنت.

-فتحي يكن، رامز طنبور: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي- مؤسسة الرسالة.

-فـــوزية العـــشماوي: الحوار بين الحضارات والخصوصيات الثقافية، جريدة الأهرام، العدد (٤١٩٣٦)، ١٣ رجب ١٤٢٢ هـــ، سبتمبر ٢٠٠١.

-مانع الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.

-مجدي عبدالمجيد الصافوري: سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية، دار الصحوة للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

-محمد إسماعيل المقدم: عودة الحجاب- دار العقيدة- الإسكندرية- الطبعة الرابعة.
-محمد الخضر حسين: وسائل الإصلاح- دار الإصلاح- السعودية- الدمام.
-محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف: عجز الثقات- دار الأندلس الخضراء.
-محمد بن صالح العثيمين: رسالة إلى الدعاة.
-محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: البحر المحيط- دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد والشيخ علي محمد وآخران- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
-محمد بهاء الدين: المستشرقون والحديث النبوي، دار النفائس، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
-محمد بيومي: أهل السنة والجماعة بين التجمع الحزبي والعمل الجماعي- دار الإيمان.
-محمد خليفة التونسي (ترجمة): الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون- مكتبة دار التراث- القاهرة.
-محمد سيد أحمد المسير: الحوار بين الجماعات الإسلامية- دار الطباعة المحمدية.
-محمد شوقي زكي: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري- دار الأنصار- القاهرة- الطبعة الثانية- ١٤٠١هـ-١٩٨٠م.
-محمد عبدالقادر أحمد: هموم إسلامية في نظام عالمي جديد- مكتبة النهضة المصرية.
-محمد قطب: المسلمون والعولمة- دار الشروق.
-محمد قطب: مناهج التربية الإسلامية- دار الشروق.
-محمد قطب:مذاهب فكرية معاصرة- دار الشروق- القاهرة- الطبعة الثامنة- ١٤١٤ هـ-١٩٩٣م.
-محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية- مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة الخامسة- ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
-محمد يوسف الكاندهلوي: حياة الصحابة- دار المعرفة- بيروت- لبنان.
-محمود عبد الرءوف: مقدمة في علم الإعلام والاتصال بالناس.

-محمـــود عبدالحكـــيم عـــثمان: جهـــود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي- مكتبة المعارف- الرياض- ١٤٠١هـــ-١٩٨١م.

-مـــروان الكجـــك: الأســـرة المسلمة أمام الفيديو والتليفزيون- دار الكلمة الطبية- القاهرة- الطبعة الثالثة- ١٤١٠هـــ - ١٩٨٩م.

-مصطفى سبيتي: شرح ديوان أبي الطيب المتنبي.

-ناصر العمر: البث المباشر.

-النووي: شرح مسلم- تحقيق: عبدالله أحمد أبي زينة- دار الشعب- القاهرة.

-وحـــيد الدين خان: المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية- ترجمة السيد رئيس أحمد الندوي- دار الصحوة ودار الوفاء- ١٩٩٤م.

-وليد فتح الله مصطفى بركات: دور الراديو في معالجة القضايا والمشكلات السلوكية في المجتمع المصري- رسالة ماجستير.

-يوســـف القرضاوي: الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط- دار التوزيع والنشر الإسلامية.

-يوســـف القرضـــاوي: الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـــ-١٩٩٨م.

-يوسف القرضاوي: الحل الإسلامي (فريضة وضرورة)- مؤسسة الرسالة.

-يوســـف القرضاوي: بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين- مؤسسة الرسالة.

-يوسف القرضاوي: تيسير الفقه للمسلم المعاصر- مكتبة وهبة.

-يوسف القرضاوي: فتاوى معاصرة.